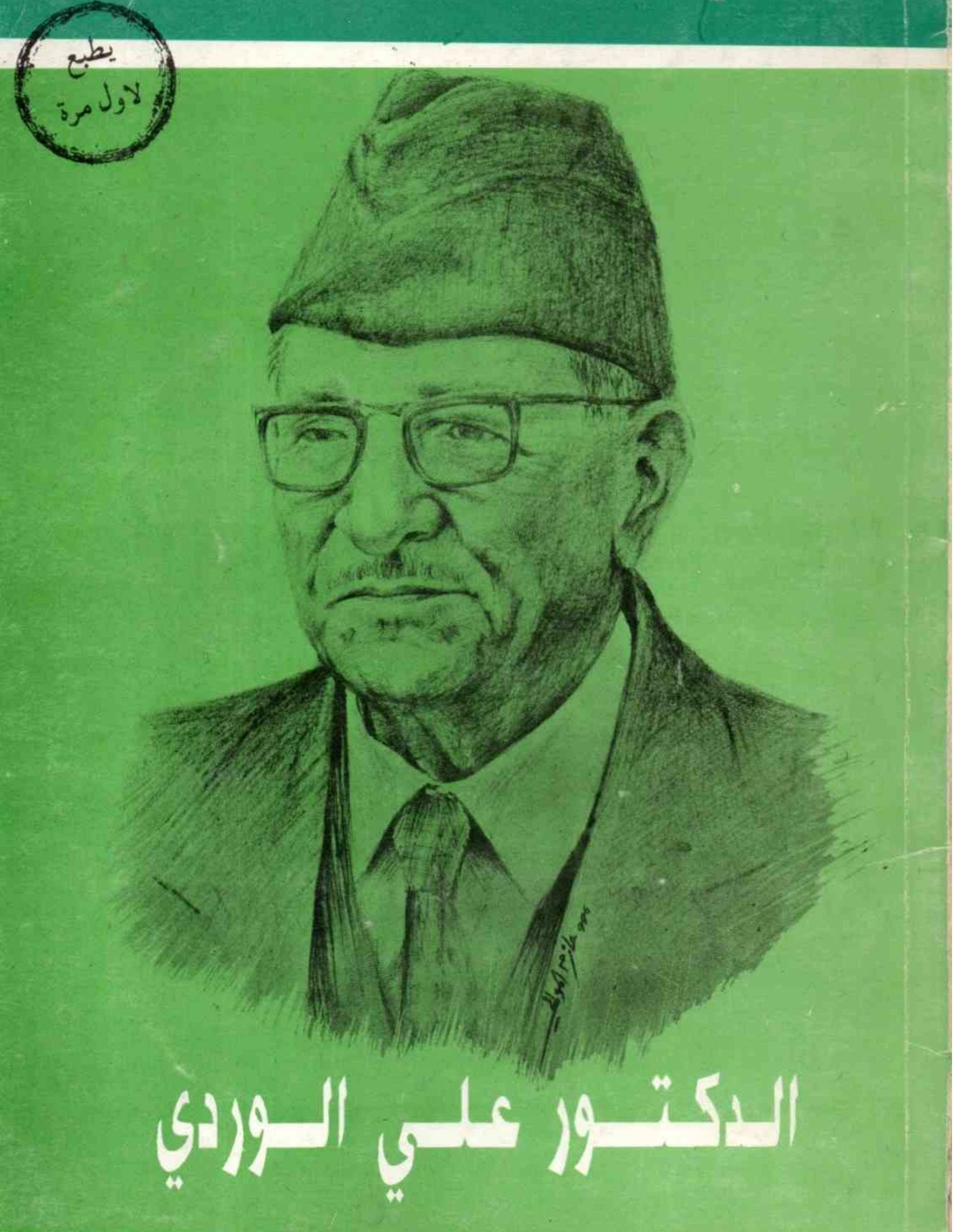
من وحي الثمانين

يطبع لاول مرة



الدكتور علي الوردي



في النفس والمجتمع

(١)

من وحي الثمانين

الدكتور علي الوردي

اعداد وتعليق
سلام الشماع

بسم الله الرحمن الرحيم

المفتـــاح

مرّ عام كامل على غياب الدكتور علي الوردي ..

وافتقدنا خلال ذلك العام الجلسات المترعة بالمرح والفائدة العلمية والمعلومة الجريئة والطرفة النادرة . ولم تبق لنا من ذلك الوردي سوى الذكرى .. واية ذكرى ..؟

ان الدكتور على الوردي لم يكن ابدا غائبا اعتياديا لقد كان له حضوره المؤثر ولذلك فأن اصدقاءه ومحبيه مازالوا يتحدثون عنه وكأنه قام من مجلسهم توا وذهب الى بيته بعد ان شعر بشيء من البرد ولم يجلب له احد عباءة يتدفأ بها او غطاء رأس او انه شعر بوعكة مفاجئة وغادر المجلس ليريح جسمه المتعب على سريره في مكتبته ، وهو السرير الذي شاهدته مسجى عليه يوم ١٣/٧/١٩٩٥ .

لقد ترك الوردي للجميع ذكريات جميلة وخلف لكل واحد من اصحابه حكاية يرتاح لروايتها ، حتى لوكانت في تلك الحكاية سخرية لاذعة .

كنت اعرف الوردي من خلال الاجزاء الاولى من كتابه (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) الذي جرني الى قراءة كتبه كلها ، بل كل ماكتبه من مقالات وما اجري معه من حوارات ولقاءات .. وكان ذلك في سنوات يفاعتي ، وكنت اتحرق شوقا لرؤية الوردي ، ولم يكن ذلك بالامر العسير على واحد مثلي ، فالوردي من مدينتنا (الكاظمية) وهو يتجول في شوارعها على الدوام ، ووالدي يملك محلا لبيع الاقمشة في اهم شوارع المدينة وانا اقضي معظم اوقاتي في مساعدة والدي في ذلك المحل ، وكأن البرنامج اليومي للدكتور علي الوردي كان ينص على المرور من شارعنا ومن باب محلنا تحديدا.

ولكني تهيبت من الحديث مع صاحب (وعاظ السلاطين) .. ولم اتجرأ واسلم عليه الا في عام ١٩٧٦ عندما شاهدته في ممر مجلة الف باء وكنت محررا حديث العهد بالصحافة فيها .. وكان الوردي وكأنه يبحث عن احد .. اردت ، وقتها ، ان اقول له اني كنت اتمنى ان اتعرف عليك . ولكني لارتباكي قلت له اني من جيرانك في محلتك القديمة يا دكتور .

ولكن الوردي نظر نحوي من وراء نظارتيه بغضب وسألني عن غرفة رئيس التحرير وانصرف معتمرا (سدارته) حاملا بيده مسبحة قديمة قصيرة يداعب حباتها بيديه .

ولم اجد تفسيرا لتصرفه ذاك الا بعد ان قرأت مقالاته وكتبه التي لم اكن قد قرأتها بعد ،

وحينئذ فقط عرفت انه يعتبر قولي من آثار الفترة المظلمة وانه تصرف ينافي الحضارة الحديثة ، ثم لابد انه حكم علي بأني مصاب بالازدواجية ..

وفي وقت لاحق ، في عام ١٩٨٤ ، كنت ازور صديقي السيد صفاء الوردي في محله بباب القبلة في الكاظمية وكان الوردي يحضر يوميا الى ذلك المحل فتوطدت بيننا عرى صداقة متينة بتنا معها لانفترق يوما .. ولم يوقف هذه الصداقة الارحيله الابدي في الثالث عشر من تموز ١٩٩٥ .. وظل محل السيد صفاء الوردي مجلسا يوميا لنا لانغادره الا الى مجلس آخر في مكان آخر .

ان علاقة كمثل العلاقة التي ربطتني بالوردي وفي مثل عمقها وصدقها جعلتني افكر في مشروع نشر تراث الوردي غير المنشور وجمع المشتت منه في الصحف والمجلات واخراجه والتعليق عليه ، فكانت هذه اول خطوة في هذا الاتجاه ستعقبها خطوات كثيرة ، ان شاء الله ، تستهدف جمع ما كتبه الوردي ، حتى ما كان يتبادله من رسائل مع اصدقائه ومع الشخصيات الادبية والثقافية . وسأكون ممتنا لمن يملك مثل هذه الوثائق ويزودني بها او بصورة مستنسخة عنها لنشرها في كتاب لاحق .

ويتضمن هذا الكتاب مجموعة حوارات مع الوردي نشرتها جريدة الاتحاد البغدادية ، التي كانت تصدر اسبوعيا عن اتحاد الصناعات العراقي . وقد نشرت المواضيع التي يضمها هذا الكتاب للمدة من ١٩ شباط حتى ١٤ مايس سنة ١٩٩٠.

الجدير بالذكر ان الوردي زودني بمجموعة من مقالاته المنشورة في الصحف في احدى سفراتي الى عمان وخولني بأخراجها بالشكل الذي اراه مناسبا ولكن تلك الفكرة لم تتحقق لضيق المجال ولقصر المدة التي قضيتها في عمان .

ان الوردي كتب هذا الحديث على شكل حوار من يقرأه يظن ان الجريدة هي التي اجرته معه، ولكي اعيد ترتيب مافي الكتاب واخرجه اخراجا جديدا ليكون حديثا متصلا لا حوارا متقطعا ، فقد حذفت الاسئلة وربطت بين الفقرات بما رأيته صالحا للربط ووضعته بين قوسين ليعرف القارىء اين تدخلت واين عزفت عن التدخل .. ثم اني قمت بالتعليق على بعض المعلومات في هوامش الكتاب لذلك فأن اي خلل او ارتباك في موضوع الكتاب ، مما هو من مداخلاتي ، لا يتحمل وزره الدكتور الوردي وانما اتحمله انا ، الذي اخرجت موضوع الكتاب وفقا لاجتهادي الخاص .

ان موضوع الكتاب ، كما يبدو من العنوان هو مذكرات الوردي في الثمانين من عمره .

والجدير بالذكر ان الوردي بلغ الثمانين مرتين : مرة حسب التقويم القمري ومرة حسب التقويم الشمسي !! ووراء ذلك قصة طريفة من المناسب ان ارويها في هذا المجال .

٥

عندما ودعنا العام ١٩٨٩ وعشنا اوائل ايام العام الجديد ١٩٩٠ اخذ الوردي يكثر من ذكر بلوغه السابعة والسبعين من عمره ، في كل المجالس التي نحضرها ، ذلك انه من مواليد العام ١٩١٣ .

وفي جدل عن العمر جرى في مجلس الشيخ فاضل الشيبي سادن الروضة الكاظمية السابق اخرجت الجدل من موضوعه لادخله في موضوع جديد حين قلت ان الوردي يبلغ الآن الثمانين من العمر وهو لايدري .. فأستنكر الوردي ذلك وحسب اني اسخر من الجدل ، ولكني سألته : كم يبلغ عمرك ، الآن ، حسب التقويم القمري ؟ .. فأستحسن الوردي الفكرة واجرى حسابا سريعا وفرح بالنتيجة .. ثم قرأت له بعد اسابيع حوارات تحمل عنوان (من وحي الثمانين) منشورة في جريدة الاتحاد في ١٩٩٠ .

اما بلوغه الثمانين من عمره حسب التقويم الشمسي ، فقد تم عام ١٩٩٣ واقيم احتفال للوردي بهذه المناسبة وقمت بنشر تفاصيله في جريدة الجمهورية يوم الاربعاء ٩ حزيران ١٩٩٣ تحت عنوان «لاول مرة.. الوردي يحتفل بعيد ميلاده» وعنوان اكبر «ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان» .

ولابأس ان اذكر هنا قصة ذلك الاحتفال بنقل بعض فقرات ذلك الموضوع

(لاول مرة بعد ثمانين عاما اطفأ الدكتور علي الوردي الشموع وقطع كيكة الميلاد في اول احتفال يقام بمناسبة عيد ميلاده في مجلس ادبي من مجالس بغداد. فقد احتفى عدد من ادباء بغداد ومفكريها وعلمائها ووجوهها الاجتماعية وصحفييهاوسط اجواء احتفالية بهيجة بعيد الميلاد الثمانين للدكتور الوردي في مجلس الشيخ عيسى الخاقاني يوم الاثنين اول ايام عيد الاضحى المبارك .

ولم تجر العادة في السابق على الاحتفال بعيد ميلاد الوردي لانه يتضايق كثيرا من مثل هذه المظاهر وما يرافقها من كلمات اطراء وقصائد مديح ومقالات ثناء .. الا ان السيد محمد، نجل الشيخ عيسى الخاقاني عميد المجلس المذكور توجه بالسؤال الى الدكتور حسين علي محفوظ عن يوم ميلاد الدكتور علي الوردي فأجابه بأنه سمع من جداته ان الوردي ولد ليلة عيد الاضحى من سنة ١٩١٣ ، فقرر الخاقاني ان يفاجيء الوردي بهذا الاحتفال .

ومعنى ما قاله الدكتور محفوظ ان الوردي بلغ الآن حوالي الثالثة والثمانين سنة هجرية من عمره المديد .

وعندما وصل الوردي الى المجلس واستقر في مكانه المعهود يوم الاثنين اول ايام عيد الاضحى المبارك وبدأ برنامج الجلسة وتحدث محمد الخاقاني عن منهجية البحث لدى ديكارت وقال :(اننا عندما نقرأ ديكارت يقفز الى اذهاننا اسم الدكتور علي الوردي ، وانه مثلما

احتفلت القاهرة بمرور ٨٠٠ سنة على ولادة مفكرها وفيلسوفها محي الدين بن عربي فأن من واجب بغداد ان تحتفل بمرور ٨٠ سنة على ولادة العلامة الدكتور علي الوردي) .. عندما قال الخاقاني ذلك ايقن الوردي انه وقع في فخ نصبه له الخاقاني ، وحاول ان ينقذ نفسه ، تماما مثل عصفور وقع في شبكة صياد ، فأعلن غضبه وسخطه على منظمي الحفل وقال انه لن يحضر هذا المجلس ابدا ، واراد ان يغادر المكان الا ان الحضور افلحوا بأجلاسه في مكانه مثلما افلح الخاقاني في ما فشل فيه آخرون .

وحسب بعض الحضور ، فأن الوردي اراد ان يداري احراجه عندما قام لقطع كيكة الميلاد فأمسك بالسكين وانشغل بها عن قطع الكيكة حيث اخذ يحدث الحضور عن اعجابه بها وبلونها ونوعيتها ، ثم عندما طُلب اليه ان يقطع الكيكة اعلن عن جهله بمثل هذه المراسيم فتطوع احد الحضور بأمساك يد الوردي الممسكة بالسكين وامرّها على الكيكة ثم اطفأ الجميع الشموع وصفقوا وجلس الوردي بعد ان اخذ حصته من الكيكة ، التي وصفها بأنها (طيبة) ولم ينس ان يسأل عن سعرها ، فقيل له ان الدكتور حسين علي محفوظ هو الذي احضرها .. وربما فهم الوردي بأن الدكتور محفوظ الذي حضّرها.. فقال: «ماكان اكو داعي لهذه الكيكة») ..

واخيرا فأني اوجه شكري الجزيل لكل من مدّ يد العون لاصدار هذا الكتاب واقدم شكري سلفا لكل من سيتعاون معي لاصدار الكتب اللاحقة .. فأن هذا المشروع اذا كتب له ان يتكامل ويخرج الى النور فأنه سيغني المكتبة العراقية بكتب هي في حاجة اليها .. ومن الله التوفيق .

سلام الشماع

بغداد في ١٩٩٦/٦/١

حول طبيعة البشر

في هذا العام[1] «دخلت سن الثمانين حسب التقويم القمري ، الذي جرى عليه آباؤنا واجدادنا ، او السابع والسبعين حسب التقويم الشمسي» .

(اشعر بأني) الآن ينطبق عليّ قول الشاعر العربي القديم :

ان الثمانين وبُلّغتَها قد
احوجت سمعي الى ترجمان

فأن سمعي اخذ يضعف تدريجيا ، وهذا بالاضافة الى الضعف العام في صحتي . ولكني مع ذلك احمد الله على نعمته التي لا تحصى . فأنا من حيث صحتي واحوالي الاخرى افضل من الكثيرين من اقراني الذين هم في مثل سني . كل ما ارجوه في اواخر عمري هو ان يساعدني الله على اتمام عملي الذي انا منهمك فيه الان وهو الكتاب الذي اعده كتاب العمر والذي يبحث في طبيعة البشر[2] . ومن المؤسف انه بالرغم من الجهود الكثيرة التي بذلتها فيه لم يتم انجازه بالمستوى الذي اطمح اليه .

ان طبيعة البشر كما لايخفى موضوع واسع معقد الى ابعد الحدود . وقد تبين لي اخيرا انه اكبر من حدود طاقتي. وقد كان المفروض فيّ ان اعرف ذلك قبل البدء بتأليف الكتاب لكي لاتذهب جهودي فيه سدى .

ان طبيعة البشر شغلت اذهان المفكرين منذ قديم الزمان وقد اختلفت اراؤهم فيها. فمنهم

---

(١) دخل المرحوم الوردي سن الثمانين حسب التقويم القمري عام ١٩٩٠ ، حيث ان عام ولادته حسب التقويم الشمسي هو ١٩١٣ (راجع مقدمة الكتاب) .

(٢) ظل المرحوم الوردي مشغولا بهذا الموضوع حتى ايامه الاخيرة وكان يحدثني دائماً عن تطورات العمل في كتابه المذكور ويريني مسوداته ويتحدث في مجالسه الخاصة والعامة عنه .. الا ان احد لايعرف الان اين اختفت هذه المسودات . وقد يعثر عليها يوما وتظهر كتابا جديدا فيما يضم اخر ما بحثه الوردي في حياته .. ولكني ، قبل ايام عثرت بين اوراقي على موضوع كتبه الوردي حول الموضوع لعله فصل من فصول ذلك الكتاب .

من ذهب الى القول بأن الانسان خيرٌ بطبيعته وان الظروف السيئة التي احاطت به هي التي جعلته شريرا ، منهم من ذهب الى العكس من ذلك ، اذ قال ان الانسان شرير بطبيعته ومن هنا جاء قول المتنبي المشهور :

والظلم من شيم النفوس فأن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

ان البحوث العلمية الحديثة حول طبيعة الانسان توصلت الى نتيجة تختلف عما قاله القدماء من كلا الفريقين . فالانسان في الواقع ليس خيرا ولا شريرا ، بل هو حيوان له صفاته السلبية والايجابية كأي حيوان اخر . انه يتميز عن الحيوانات الاخرى ببعض المزايا التي انفرد بها كالقدرة على التفكير والقدرة على النطق والقدرة على امساك الاشياء وصنعها ، بالاضافة الى شعوره بالانا . غير انه مع ذلك يبقى حيوانا اذ هو مدفوع بنوازع وميول طبيعية لاارادة له فيها .

ان من اهم الفروق بين الانسان والحيوان هو ان الانسان حيوان اجتماعي ، اي انه لايستطيع ان يندفع مع ميوله الطبيعية اندفاعا مطلقا ، فأن المجتمع الذي يعيش فيه الانسان يفرض عليه قيما واعرافا وتقاليد لا يجوز له ان يخالفها ، وهو لذلك يعاني في اكثر الاحيان صراعا نفسيا بين ميوله الطبيعية والقيم الاجتماعية المحيطة به .

مزية الحيوان انه يندفع مع ميوله الطبيعية بدون مبالاة بمن حوله من ابناء نوعه انه يجري على فطرته من غير حاجة الى رياء او تظاهر او تبرير ، وذلك على العكس مما يفعل الانسان . فالذئب مثلا يهاجم الشاة ويأكلها ثم يضطجع مطمئنا كأنه لم يفعل شيئا منكرا . والواقع ان الانسان يحب ان يفعل بعدّوه مثلما يفعل الذئب بالشاة ولكنه لا يقدر على ذلك في اكثر الاحيان لان المجتمع وضع تجاهه روادع تمنعه من ذلك من قيم وعقوبات متنوعة .

ان الانسان كثيرا ما يحاول التنفيس عن ميوله الطبيعية بوسائل غير مباشرة فهو اذا كره شخصا او شعر بالحسد نحوه اخذ يبحث عن معايبه ويبالغ فيها بغية الانتقاص منه او الانتقام منه . وهو قد لا يتردد ان يهاجم الشخص المكروه او يعتدي عليه اذا وجده مستضعفا لا قوة ولا عون له ثم يأتي بحجة يبرر بها اعتداءه كأن يتهمه بأنه كفر بالله او اضر بالمصلحة العامة او خان الوطن .. الخ .

الشائع بين الناس ان الانسان لديه ضمير يمنعه عن الظلم والاعتداء ، وهم يصفون الضمير بأنه الصوت الالهي في الانسان ، وهذا وصف مغلوط . لان الضمير في الانسان نسبي، اذ هو يقوم على اساس من القيم والاعراف التي اعتاد عليها الانسان في حياته الاجتماعية . ولهذا رأينا بعض «الاخيار» او «الاتقياء» يقترفون افظع الاعتداءات على من يخالفهم في العقيدة

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

ان هذه صورة مبسطة عن الطبيعة البشرية ، فإن هذه الطبيعة في الواقع هي اكثر تعقيدا واصعب على الفهم من وجوه عديدة . وقد يكفي لكي نأخذ صورة اوضح عنها ان نذكر ان عدد البشر على وجه الارض قد زاد على خمسة مليارات ، وهو قد يصبح في نهاية القرن ستة مليارات ، هذا مع العلم ان كل واحد من هؤلاء البشر له شخصية خاصة به تختلف عن شخصية الاخرين قليلا او كثيرا ، اذ ان كلا منهم له نمط في التفكير والسلوك ، وفي المزاج والذوق ، وفي الحركات والسكنات ، وفي طريقة معاملته لنفسه وللناس ، ما لا يمكن ان يشبهه انسان اخر الا نادرا .

وهنا لابد ان يواجهنا السؤال المعضل : ماهي العوامل التي تكمن وراء هذا التفاوت العجيب في تكوين شخصيات البشر ؟ !

ان العلم يحاول الان الاجابة عن هذا السؤال . وقد تشعبت الاراء فيه وتنوعت ولم تصل فيه بعد الى نتيجة حاسمة . وكيف تريد من كاتب مثلي يعيش في اواخر ايامه ان يكتب في هذا الموضوع كما ينبغي ؟ !

(يرى البعض ان الكتاب الذي اعمل فيه حول طبيعة البشر يجب ان يصدر بالرغم من وجود النقص والقصور فيه . فهو مهما كان ناقصا قاصرا قد ينفع القاريء العربي اذ هو يفتح عينه على خطأ بعض المفاهيم التي ورثناها من الماضي حول طبيعة البشر واضرت بنا من الناحية الشخصية والاجتماعية) .

ان هذا الرأي صحيح . فأننا ورثنا من الماضي كثيرا من المفاهيم المغلوطة حول طبيعة البشر، وقد اضرت بنا هذه المفاهيم كثيرا ، وقد آن الاوان لكي ننبه الناس الى مواطن الخطأ فيها وكيف نستطيع ان نبني مجتمعنا وشخصية الفرد منا على اساس مفاهيم اخرى اصح منها.

ان العالم يشهد الان ثورة علمية كبرى في مختلف المجالات منها مجال البحث في طبيعة البشر . ومن المؤسف اننا غافلون عنها ومن يتابع ما تصدره مطابعنا من صحف ومجلات وكتب يجد الكثير منها مشغولا بمواضيع اكل الدهر عليها وشرب ولا جدوى منها في فهم مشاكلنا الراهنة[1] .

لفت نظري في هذا الصدد رأي ابداه الباحث الجزائري الدكتور جيلالي اليابس ، وقد نشرته

---

(١) انتقد الوردي اكثر من مرة وفي اكثر من مناسبة ما تصدره مؤسساتنا الثقافية من الشعر القديم والدراسات حوله وكتب النقد الادبي للاعمال القديمة والحديثة والدراسات التاريخية والادبية . وكان يقول ان اصدار كتاب يكشف للناس المفاهيم المغلوطة التي يحملونها حول الطبيعة البشرية هو اهم من مائة كتاب من هذا النوع .

مجلة (الفيصل) السعودية في عددها الصادر في كانون الثاني ١٩٩٠ ، وهذا نصه اذ يقول :

«اذا كانت المنشورات العلمية تعد من اهم مؤشرات التطور لبلد ما ، فيمكن ان نلمس من ذلك مدى تخلفنا ، حيث نجد مئات الجرائد والاف الكتب والعناوين الادبية والبلاغية والتراثية ولانجد في المقابل جريدة او مجلة علمية ذات مستوى معقول تناقش مسائل التطور العلمي والتكنولوجي في الوطن العربي . الا تعد هذه مشكلة خطيرة ؟ والمشكلة تكمن في اننا مازلنا قوما نقصر اهتمامنا الفكري على الادبيات والشعر والعروض والبلاغة» . . .

ان هذا الرأي اذي جاء به الدكتور جيلالي اليابس من الجزائر يشبه ما قاله الاستاذ محي الدين اسماعيل من العراق وهو القول الذي نشرته جريدة (الثورة) في عددها الصادر في ١٩٩٠/١/١١ . وهذا نصه :

«ان ثقافتنا المعاصرة التي نواجه بها القرن الحادي والعشرين هي في جملتها ثقافة ادبية وان نصيب الفكر منها نصيب ضئيل . واني كنت اقول دوما ان الادب العظيم لابد ان يصدر عنه فكر عظيم ، غير ان مبدعاتنا في مجملها ادبية ، وهذا هو ما سنواجه به القرن الحادي والعشرين .لماذا ؟» .

ويضيف الاستاذ محي الدين الى ذلك قائلا : «ان هذا القصور في المجال الفكري عندنا قد لاحظه كثير من مثقفينا وكتابنا في العهد الاخير ومن بين من تهمنا الاشارة اليه هو الدكتور زكي نجيب محمود . فأن هذا الكاتب المثقف قد لاحظ هذا القصور في ثقافتنا المعاصرة فكتب كتابا بعنوان (تجديد الفكر العربي) اجمل فيه كثيرا من هموم المثقف العربي المعاصر . وقد طرح في كتابه هذا مشكلة التساؤل عن فكر عربي معاصر يضمن له ان يكون عربيا وان يكون معاصرا في الوقت ذاته ..» .

بقايا الفترة المظلمة

«ان الطابع العام لما تصدره مطابعنا من صحف ومجلات يغلب عليه الجانب الادبي اكثر من الجانب العلمي» .

في رأيي ان السبب في ذلك جاء من الفترة المظلمة التي حلت بنا عقب سقوط الدولة العباسية فقد تضاءلت النزعة العلمية في تلك الفترة وسيطرت النزعة الادبية واللغوية والبلاغية وما اشبه ذلك .

حين ندرس فترة ازدهار الحضارة العربية الاسلامية التي سبقت الفترة المظلمة ، نجد فيها النزعة العلمية والنزعة الادبية متوافقتين ، تنهل احداهما من الاخرى . وقد ظهرت حينذاك نخبة من المفكرين المبدعين الذين يمكن اعتبارهم روادا للحضارة الحديثة. ويكفي ان نذكر منهم في مجال البحوث النفسية والاجتماعية الجاحظ والغزالي وابن خلدون . وقد شرحت ذلك بشيء من التفصيل في كتابي (منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته) .

ولكن الذي يؤسفني ان اجد هذا التراث قد تم تناسيه في الفترة المظلمة ، وحل محله التراث الوعظي الخطابي من جهة ، والتراث الادبي البلاغي من الجهة الاخرى . وقد ورثنا ذلك من الفترة المظلمة حتى صار الكثير من متعلمينا وكتابنا يسيرون على هذا المنهج البائد وهم يحسبون انهم يسيرون في طريق الحضارة الحديثة .

المشكلة الرئيسية التي عانيتها انا وعاناها الكثيرون من امثالي هي ان الخطابيين البلاغيين يتدخلون في كل موضوع حتى في المواضيع التي لا يعرفون عنها شيئا . فهم يملكون سلاحا صارما يصولون به ويجولون ، هو سلاح الالفاظ الرنانة وتراهم يشهرون سلاحهم هذا في وجه كل من يخالفهم في الآراء والمفاهيم التي نشأوا عليها او اعتادوا عليها [1] .

ومشكلة هؤلاء تكون على اشدها حين يتدخلون في المواضيع النفسية والاجتماعية. فهم قد نشأوا على بعض المفاهيم التقليدية في هذه المواضيع ، وهي المفاهيم التي تختلف كل

---

(١) عاني الوردي من امثال هؤلاء الذين يصفهم احيانا بأنهم متحذلقون فهم يدبجون المقالات النارية ويلقون الخطب الهادرة ويؤلفون الكتب الغاضبة في الرد على الوردي كلما صدر له كتاب جديد ، لاسيما عندما اصدر كتابه ذائع الصيت (وعاظ السلاطين). ونحن لا نستبعد انهم سيفعلون ذلك مع صدور هذا الكتاب . والله الساتر .

الاختلاف عن تلك التي جاء بها العلم الحديث .وهم يطلقون السنتهم في نقد المفاهيم الحديثة ويأتون بالادلة (العقلية) و (النقلية) التي تؤيد وجهة نظرهم. والويل لمن يجادلهم فيها [٢] .

اروي للقاريء في هذه المناسبة قصة حدثت لي منذ عهد غير بعيد وهي قصة قد لايصدق بها القارىء لغرابتها ولكنها مع ذلك وقعت فعلاً .

خلاصة القصة اني اطلعت مؤخراً على نظرية جديدة جاء بها احد الباحثين واسمه هوارد غاردنر في موضع الذكاء وانواعه . وهي قد احدثت ضجة في الاوساط العلمية في الخارج ، ورأيت ان اقدمها للقارىء العربي ، وكتبت فيها مقالا بذلت فيه جهداً غير قليل ، ثم اخترت احدى مجلاتنا الكبيرة لنشره فيها . ولما وصل المقال الى يد رئيس تحرير المجلة احاله الى احد المحررين فيها وهو شاب اديب . وحين قرأ هذا المحرر المقال شطب منه ثلثيه ثم غيرّ بعض عبارات الثلث الباقي منه بحيث جعل الصحيح منه خطأً .

كان المفروض في المجلة ان تخبرني بما جرى على المقال من حذف وتغيير كما جرت عليه العادة في مجلات العالم المتحضر . ولكنها لم تفعل ذلك ، وكاد المقال ان ينشر على حالته العجيبة التي صنعها المحرر لولا مساعدة الصدفة لي . وقد استطعت ان اسحب المقال من المجلة قبل فوات الاوان .

اني مازلت احتفظ بالمقال وما جرى عليه من حذف وتغيير ، واعتبره وثيقة في يدي تدل على المستوى الذي وصل اليه بعض متعلمينا من الذين يهتمون بالمنهج البلاغي الخطابي اكثر من اهتمامهم بالمنهج العلمي .

اني لا الوم المحرر او رئيس التحرير على ما فعلا ، فهما حصيلة المناخ الثقافي السائد في بعض اوساطنا الادبية . ومن يتابع اسلوب الكتابة المتبع في بعض ما تنشره صحفنا ومجلاتنا يجد المنهج الخطابي البلاغي واضحاً فيها ولا حاجة بي الى القول ان هذا المنهج لاينسجم مع طبيعة الحضارة الحديثة التي نريد السير في طريقها على كل حال .

يجب ان لاننسى ان الفترة المظلمة التي استغرقت نحو ستة قرون كانت افظع فترة مرّ بها العراق في تاريخه الطويل من حيث الانحطاط الحضاري الذي كان سائداً فيها . ويجب ان لاننسى كذلك ان القيم والعادات الاجتماعية التي شاعت في تلك الفترة لم تختف فجأة بمجرد انتهاء تلك الفترة بل هي ظلت تؤثر فينا قليلا او كثيرا زمناً غير قصير .

ان السلطة الحكومية كانت في الفترة المظلمة ضعيفة ومتفسخة ، وهي لذلك لم تكن قادرة على حماية ارواح الناس واموالهم ، فاضطر الناس الى تبني القيم العشائرية لكي يحافظوا

---

(٢) للوردي قابلية عالية على اثارة الجدل الحاد والتفرج على المتجادلين ، واذا ما اريد اشراكه في هذا الجدل فانه يتجنبه متمسكاً بمقولة يرددها دائماً هي «اكسب الجدل بان تتجنبه» .

على ارواحهم واموالهم بها ولذا انتشرت بينهم العصبية القبلية وعادات الثأر والدخالة والنخوة وحق الجار والزاد والملح والتفاخر بالنهب والضيافة وغسل العار وما اشبه ذلك .

ظلت هذه القيم سائدة في الناس الى ان بدأت الحضارة الحديثة تأتي الى العراق عقب الحرب العالمية الاولى وقيام الدولة العراقية برئاسة الملك فيصل الاول . والواقع ان هذا الملك واعوانه بذلوا جهوداً كبيرة في نشر الحضارة الحديث في العراق عن طريق التثقيف التدريجي . وهذا لابد ان يؤدي الى نشوب الصراع بين القيم الحضارية الجديدة والقيم العشائرية القديمة ، وهو الصراع الذي مازلنا نعاني منه حتى الآن .

من طبيعة القيم الاجتماعية التي تسود الناس فترة طويلة من الزمن انها لاتتغير بنفس السرعة التي تتغير بها ظروفهم . وهذا هو ما نسميه «التناشز الاجتماعي» او «التناشز التراثوي». وهو ظاهرة عامة تحدث في جميع المجتمعات التي تمر في مرحلة تغير .

الواقع ان القيم العشائرية فينا هي في تضاؤل تدريجي مستمر ، ولكن هذا التضاؤل لايجري على وتيرة واحدة في جميع مناطق العراق . فهو قوي طبعاً في المناطق السكنية الحديثة التي يقطنها افراد من اولي الثقافة العالية . ولكننا لو ذهبنا الى بعض المناطق الريفية النائية لوجدناها تعيش على نمط مقارب لما كان الناس يعيشون فيه في العهد العثماني .

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان المناطق السكنية الحديثة بالرغم من مظاهرها الحضارية مازالت تعاني من بقاء بعض القيم القديمة فيها . فانك اذا دخلت دارا فيها قد تجد اصحاب الدار يلحون عليك في تناول الطعام والشراب على نحو ما تفعل العشائر في مضايفها . وقد ترى في تلك المناطق من الاسراف في الولائم والتفاخر بها شبيهاً بما كان يجري في العهود الغابرة .

واذا دخلت مع صديق لك الى مقهى او ملهى او سينما فانه لابد ان يسابقك في دفع النقود ، ولابد لك من ان تسابقه بدورك .

ان هذه عادات ذهب زمانها ، وهي قد تجلب الاستغراب او السخرية في البلاد المتحضرة ، غير اننا مصرون على التمسك بها رغم انف الدنيا . وهي لاتقتصر على العادات التي ذكرتها آنفاً بل هي تشمل عادات اخرى عديدة . وكلما ابتعدنا عن المناطق الحديثة وتغلغلنا في المناطق القروية والريفية ، وجدنا تلك العادات تزداد وضوحاً وتركيزاً .

ان مثقفينا وكتابنا عليهم واجب تجاه ذلك ينبغي ان يقوموا به . والمؤسف ان نراهم مشغولين عن مثل هذا الواجب بامور اخرى لاصلة لها بواقع حياتنا ! .

اتهام واعتراف

(بدأت الكتابة في الصحف منذ عام ١٩٣٠ ، اما تأليف الكتب فقد بدأت به منذ عام ١٩٥١) .

في مرحلة الكتابة الصحفية كنت كغيري من الكتاب الناشئين اريد ان تنشر مقالاتي وهي مذيلة باسمي لكي افتخر بها على الاقران . ومعنى هذا اني لم اكن اقصد هدفاً معيناً من مقالاتي غير هدف النشر وذيوع الاسم .

وارجو ان تعلم اني لم اكن في هذا مختلفاً عن غيري من الناس او شاذاً عنهم . فتلك هي طبيعة البشر في كل زمان ومكان . فالانسان حيوان انوي ، اي انه يسعى دائماً نحو رفع شأن «الانا» في نظر الاخرين في اي مجال يقدر عليه . وهو اذا لم يجد مجالا مشروعاً في ذلك لجأ الى مجال غير مشروع .

ان اكثر الناس ، او كلهم تقريباً ، لايعترفون بوجود هذه الطبيعة فيهم . فهم في الوقت الذي يجرون فيه وراء «الانا» يحاولون انكار ذلك ويتظاهرون بانهم يسعون وراء الحق والحقيقة ، او المصلحة العامة ، او التقرب الى الله ، او غير ذلك . وقد آن الاوان لكي يزيحوا هذا القناع المصنطع عن انفسهم .

اما عن المرحلة الثانية من الكتابة وهي مرحلة تأليف الكتب التي بدأت بها في عام ١٩٥١ فاني استطيع ان اقول ان الدافع الانوي فيها لم يكن كما كان في المرحلة الاولى لانه حصل فيه شيء من التغير ، وهو تغير لابد منه . ولتوضيح ذلك اذكر نظرية العالم الاجتماعي المعروف جورج هربرت ميد في موضوع الانوية .

يقول ميد : ان الانا في الانسان ليست واحدة بل هي اثنتان هما الانا الفردية والانا الاجتماعية ، فالانا الاجتماعية هي التي تجعل الانسان يسعى نحو كسب تقدير الاخرين والانسجام مع المجتمع ، اما الانا الفردية فهي التي تجعل الانسان يشعر احياناً بدافع التمرد على مجتمعه او الثورة عليه .

ان كل فرد من البشر - حسب رأي ميد - يملك هذين النوعين من الانا ، ولكن الافراد

يتفاوتون في نسبة كل منها الى الاخر فيهم . ومعنى هذا ان الانسان لايستطيع ان يكون منسجماً مع مجتمعه دائماً ، بل هو يشعر في بعض الاحيان بالثورة عليه قليلا او كثيراً . وهذا هو الذي جعل المجتمع البشري لايبقى على حاله مدة طويلة من الزمن وهو لابد ان يطرأ عليه التغير والتطور تحت تأثير بعض الافراد فيه . فلو كانت الانا الاجتماعية هي المسيطرة وحدها على جميع الافراد لظل المجتمع البشري راكداً جامداً على توالي الاجيال كما هو الحال في مجتمع النمل والنحل .

اني حين احلل نفسي في ضوء هذه النظرية اشعر بان الانا الاجتماعية هي التي كانت مسيطرة على نفسي في المرحلة الاولى من حياتي ، اما المرحلة الثانية فقد بدأت الانا الفردية تلعب دورها فيها . وهذا امر لا ارادة لي فيه . وهو يحصل لغيري كما حصل لي حين يمر بمثل الظروف التي مررت بها .

ان السنوات الاربع التي قضيتها في امريكا بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٠ كان لها اثرها في شخصيتي . فقد درست هناك علم الاجتماع ، والواقع اني كنت مولعاً بهذا العلم منذ بداية شبابي ولكني لم افهمه كما هو في حقيقته الا في امريكا .

اضف الى ذلك اني درست هناك ابن خلدون ، وهذا الرجل يحمل له علماء الاجتماع تقديراً كبيراً ، اذ هم يعتبرونه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع غير ان الاساس الذي وضعه هذا الرجل اندثر بعده ، الى ان جاء (كومت) في منتصف القرن التاسع عشر فاسس علم الاجتماع من جديد .

محور نظرية ابن خلدون هو الصراع بين البداوة والحضارة وهذا الصراع بين البداوة والحضارة لم يظهر في اية منطقة من العالم مثلما ظهر في المنطقة العربية . وهذا موضوع طويل لامجال هنا لذكره . اما الذي اريد ان اذكره هنا فهو اني عندما درست علم الاجتماع ونظرية ابن خلدون بوجه خاص شعرت باني تجاه مسؤولية كبيرة في الحياة ، واني يجب ان اتحمل شيئاً منها عند عودتي الى الوطن .

ان الذي كان يزعجني في المجتمع الذي نشأت فيه هو ان القيم العشائرية كانت منتشرة فيه على نحو ما ذكرته سابقاً ، وهي القيم التي تستمد جذورها من البداوة كما اوضحها ابن خلدون . وهذا هو الذي بعث في اعماق نفسي شيئاً من الثورة على تلك القيم . فنحن مادمنا عازمين على السير في طريق الحضارة الحديثة اصبح من الواجب علينا ان نقتلع من مجتمعنا بقايا تلك القيم التي تعرقل علينا هذا الطريق .

(يتهمني بعض النقاد باني في كتاباتي الاجتماعية لم اقصد الاصلاح بمقدار ما اقصد مخالفة المألوف من اجل الشهرة) .

ان هذه التهمة وجهها نحوي غير واحد من النقاد كان احدهم الاخ عبدالمطلب صالح في مقالة له نشرتها مجلة (افاق عربية) في عددها الصادر في شهر آب ١٩٨٦ . فقد وجّه الاخ الناقد تهمته هذه في معرض انتقاده لكتابي (اسطورة الادب الرفيع) الذي صدر في عام ١٩٥٧ . فهو يقول في ذلك ما نصه :

«ان المتتبع لكتابات الدكتور علي الوردي يجد انه يدور في حلقة مفرغة منذ ثلاثين عاماً ، منذ كتيبه «الازدواجية في شخصية الفرد العراقي» مروراً بـ «وعاظ السلاطين» ثم كتابه «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» . واغلب ما كتبه هو مخالفة المألوف ، سواء كانت تلك النظرات في مجالات علم الاجتماع ام مجالات اخرى . ان الدكتور الوردي يقحم نفسه في موضوعات لم يستكمل لها عدتها» .

هذا هو ما قاله الاخ الناقد ، وليس لي من رد عليه . فالقضية ليست طوع يدي او طوع يده . فكل واحد منا له مزاجه الخاص به . وفي مقدور اي شخص ان يوجه الاتهام الى شخص آخر حسب وجهة نظره او عاطفته . والتاريخ هو الذي يقرر الحقيقة الوسطى بين هذا وذاك .

اني لا ادعي لنفسي اني قمت بواجبي في هذه الحياة كما ينبغي ولابد لي من ان اعترف باني اقترفت كثيراً من الاخطاء في حياتي ، ولكني مع ذلك قادر ان اقول اني لم استطع ان ابقى جامداً تجاه العيوب التي ابتلى بها مجتمعنا .

ان اي مجتمع بشري لايمكن ان يخلو من عيوب على وجه من الوجود . وليس في هذه الدنيا مجتمع كامل على نحو ما يتغنى به اصحاب القصائد العصماء والخطب الرنانة . ومشكلة الانسان المثقف في بعض الاحيان انه يعاني صراعاً بين الانا الفردية والانا الاجتماعية في نفسه . فهو يريد الانسجام مع مجتمعه لكي ينال تقديره من جهة، وهو يشعر بالتذمر مما في مجتمعه من عيوب من الجهة الاخرى . فماذا يصنع تجاه هذا الصراع في نفسه ؟

اعرف اشخاصا يزعمون انهم مثقفون ولكنهم في الوقت نفسه متعصبون لكل ما نشأوا عليه مهما كان سيئاً ، وهم لايكتفون بذلك بل نراهم يعلنون سخطهم على كل من لايؤيدهم في تعصبهم .

وهم السعادة

اني بعد ممارستي للحياة بشتى احوالها ادركت ان الشعور بالسعادة لايأتي من خارج الانسان بل هو ينبعث من داخله . فربَّ شخص تحيط به اسباب السعادة ظاهراً ولكنه يشعر بالنكد والالم في اعماق نفسه . ورب شخص تحيط به اسباب البؤس والشقاء في الظاهر ولكنه في اعماق نفسه راضياً يحمد الله على نعمته .

يقول الشاعر العربي القديم :

كـل مـــن تلقـاه يشكـو دهـره

ليــت شـعري هــذه الدنيـا لمــن ؟

ان هذا البيت وان كان لايصدق على جميع الناس فانه يصدق على اكثرهم . فالانسان في الغالب لايرضى بنصيبه من هذه الدنيا وهو لابد ان يشعر بالتذمر منها قليلا او كثيرا .

ان للانسان صفتين تؤديان به الى التذمر عادة : احداهما انه يقدر نفسه اكثر مما هي في حقيقتها ، والثانية انه ينظر الى النعم التي حصل عليها غيره وينسى النعم التي حصل هو عليها .

انه يرى بعض اقرانه قد نجحوا في الحياة اكثر منه ، ولكنه ينسى الذين اخفقوا في حياتهم . وتراه يندب حظه على مافاته في هذه الدنيا بينما كان الواجب عليه ان يحمد ربه على النعم التي حصل عليها والتي لم يحصل عليها الكثيرون من اقرانه .

استطيع ان اعطيك مثالا واقعياً عن ذلك في نفسي ، فاني كنت في صباي صانع عطار ، وكنت حينذاك متألماً ومتذمراً من نصيبي من الحياة لاني كنت ارى بعض اقراني يداومون في المدارس ولهم اوقات فراغهم وعطلهم الكثيرة التي يلهون فيها كما يشتهون ، بينما كنت انا محجوراً في الدكان ومضطراً الى مداراة المشترين وتحمل طلباتهم ونزواتهم.(١)

ومن الجدير بالذكر اني في الوقت الذي كنت فيه متذمراً من حالي كان هناك صبي في مثل سني من جيراني قد قتل ابوه في الحرب العالمية الاولى فاضطرت امه الى تشغيله عاملا كادحاً في اعمال البناء ، وهي الاعمال التي كنا نسميها «شغل الطين» لكي تستعين به في كسب قوته وقوها . وكنت اراها في صباح بعض الايام تضربه ضرباً مبرحاً عندما يمتنع هو من

---

(١) حدثني الوردي اكثر من مرة انه كان يصطحب معه الى الدكان كتاباً وينغمر في قراءته وكان الناس عندما يرونه في هذه الحالة يعزفون عن الشراء منه ويتوجهون الى عطار غيره يشترون منه ، وعندما لاحظ صاحب الدكان ذلك سرحه من العمل . ثم اصبح عطاراً في السوق نفسه ولم يكن منصرفاً لعمله كل الانصراف .. وكثيرا ما كان يصف نفسه بانه كان عطاراً فاشلاً .

الاستيقاظ مبكراً من اجل الذهاب الى «شغل الطين».

اني لم اكن اقارن حالي بحال هذا الصبي اليتيم ، بل كنت اقارنه بالصبيان المرفهين، وهذه هي طبيعة البشر في الغالب!.

هناك صنفان من الناس يمكن القول انهما يشعران بشيء من السعادة على وجه من الوجوه . اولهما المؤمن الراضي بقدر الله وقضائه والذي يعتقد ان الدنيا فانية وان الاخرة باقية وان كل شقاء يصيب الانسان في هذه الدنيا سوف يعوضه الله عنه في الاخرة اضعافا .

يجب ان لاننسى ان المؤمنين من هذا النمط قليلون جداً بين الناس ، وانا واحد منهم، متهالكون على الدنيا على الرغم من كونهم يعتقدون انها فانية . وقد يصح القول ان الايمان الحقيقي لم يتغلغل في اعماق نفوسهم ، فهم يركضون وراء الدنيا كغيرهم من البشر ولكنك لاتكاد تتحدث اليهم عن الدنيا حتى تراهم قد تحولوا فجأة الى وعاظ زهاد يذمون الدنيا وينصحون غيرهم بعدم الانخداع بها .

اما الصنف الثاني من الناس الذين يشعرون بشيء من السعادة اكثر من غيرهم فهو يتمثل في الافراد الذين يسعون نحو هدف معين وينجحون في سبيله خطوة بعد اخرى .

هناك ناموس بشري مؤداه ان السعادة ليست في الوصول الى الهدف المنشود بل هي في السّعي الناجح نحوه . فمن طبيعة الانسان انه عندما يصل الى الهدف الذي كان يطمح اليه ، ويمر عليه في ذلك فترة من الزمن ، يصبح الهدف اعتيادياً مألوفاً في نظره ، وهو قد يسأم منه بعدئذ ويأخذ بالسعي نحو هدف آخر . وهذا هو الذي جعل الانسان راكضاً لاهثاً طيلة حياته الى ان يدركه الموت فيستريح به ويريح !

يقول احد علماء الاجتماع ان سعادة الانسان تكمن فيما سماه «تخفيف التوتر». فالانسان حين يسعى الى هدف معين يشعر بالتوتر نحوه ، وهو يشعر بالراحة او السعادة كلما نجح في التقدم نحو هدفه . اما اذا وجد في طريق تقدمه عقبة تمنعه من التقدم فانه يشعر بالشقاء ويحاول التغلب على تلك العقبة بمقدار جهده ، انه ينال غاية السعادة عند الوصول الى الهدف حيث يختفي التوتر لديه . ولكن هذه السعادة مؤقتة فيه لان توتراً من نوع آخر يبدأ بالظهور فيه . وهكذا يبدأ الكفاح فيه من جديد.

خذ مثلا الرجل المتهالك لنوال امرأة يعشقها ، فهو يتصور السعادة كلها في وصال تلك المرأة ، وهو يتمنى ان يعيش معها في خيمة بعيدة عن الناس في الصحراء طيلة حياته ، غير انه لايكاد ينال معشوقته في تلك الخيمة البعيدة حتى تبدأ السعادة تتناقص فيه تدريجاً ، وربما بدأت المناقرة بينهما ويسأم كل منهما من الاخر .

ويمكن ان نقول مثل هذا عن طالب الثروة ، او المنصب الرفيع او الجاه والشهرة ، او غيرها .

وفي هذا مصداق للحديث النبوي القائل : «لو كان لابن آدم واد من ذهب وواد من فضة لآثر ان يكون له الثالث ، ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب» .

ان هذا الناموس يمكن ان نطلق عليه مصطلح «اللذة المتناقصة» فكل لذة لابد ان تتناقص بعد التمتع بها مرحلة بعد مرحلة .

ان افضل مثل واقعي يمكن الاتيان به لتوضيح هذا الناموس هو عن الجائع الذي افتقد الطعام فترة من الزمن. فهو يتوق الى الطعام كل التوق ، ويتصور ان في الحصول عليه منتهى السعادة . والواقع انه يشعر بالسعادة عند الحصول على الطعام ، كما يشعر باللذة القصوى في تناوله ، ولكن اللذة تتناقص فيه لقمة بعد لقمة ، حتى يصل الحال به اخيراً الى درجة ينفر فيها من الطعام وقد يتقزز من منظره .

خلاصة القول ان السعادة في الانسان نسبية ، او هي وهم من الاوهام . ولكن الانسان لايعرف ذلك ، ومن المصلحة ان لايعرف ذلك لكي يبقى راكضاً مكافحاً طيلة حياته ففي ذلك عمارة الارض .

للمسنين فقط

يقال ان صحة الانسان تعتمد على ثلاثة امور هي :

١- نوع الطعام الذي يتناوله الانسان .

٢- نوع الهموم التي تشغل باله .

٣- الرياضة التي يمارسها .

اني احمد الله تعالى لانه مكنني من اتخاذ الافضل في هذه الامور الثلاثة فأني في طعامي لا اميل الى المطبوخ منه ، بل افضل عليه تناول الخضر والفواكه الطازجة . وقد اعتدت طيلة خمسين سنة على الاقتصار في عشائي على الخضر والفواكه وحدها .

وهذا ما انصح به جميع الناس ولاسيما المسنين منهم .

اما من حيث هموم الحياة فأني اعتدت علي طرد الهموم المؤلمة عن ذهني ، وقد نجحت في ذلك الى درجة غير قليلة . واني اقول للذين يجترون همومهم : ماهي الفائدة التي تجنونها من ذكر ايامكم الماضية ، فالماضي ذهب ولن يعوذ ابدا ، وكذلك سيذهب الحاضر وراءه والمستقبل ايضا !

قد تسألني هل في مقدور الانسان ان يطرد همومه عن نفسه بأرادته ام ان اجترار الهموم خصلة جبل عليها بعض الافراد دون غيرهم ؟

نعم ، ان بعض الافـراد جـبلوا على هذه الخـصلة دون ارادة منهم ، ولكنهم مع ذلك يستطيعون ان يخففوا من تأثيرها فيهم اذا تأملوا في هذه الدنيا وفي البشر الذين عاشوا ويعيشون فيها . فلم يظهر بين البشر من نجح في حياته كل النجاح او لم يرتكب اي خطأ فيها ، وكذلك لم يظهر فيهم من نجح في حياته ثم انتفع بنجاحه بعد موته . فهم جميعا سوف يأكلهم الدود بعد موتهم . اما حساب الله فهو يقوم على اساس اخر غير اساس النجاح في هذه الدنيا .

ان الانسان ينبغي ان يردد مع نفسه دائما قول الشاعر العربي القديم :

الا كل شيء ما خلا الله باطـــل

وكـل نعيـم لا محالـة زائـــل

وحين نأتي الى الامر الثالث من حيث تحسين الصحة في الانسان ، اي ممارسة الرياضة ،

يجب ان نذكر انها في غاية الاهمية للانسان ولاسيما للمسنين من امثالي .

اني كنت في شبابي لا اهتم بالرياضة ، ثم ادركت بعدئذ فداحة الخطأ في ذلك . فأن الرياضة اساس مهم في صحة البدن وصحة الفكر معا . وقد بدأت منذ عام ١٩٤٦ بممارسة رياضة المشي يوميا ومازلت امارسها حتى الان .

اني لا اكتفي بممارسة المشي وحده بل امارس الهرولة ايضا ولكني لا استطيع ان امارسها في الشوارع على نحو ما يفعل الناس في البلاد المتقدمة ، بل امارسها في حديقة بيتي فقط .

فكرت ذات مرة ان امارس الهرولة في الشوارع غير اني تركت هذه الفكرة مخافة لوم الناس او استهزائهم . ومن المأمول ان مجتمعنا سوف يصل في يوم من الايام الى مستوى المجتمعات المتقدمة من حيث الاعتياد على الهرولة في الشوارع .

واسأله تعالى ان يمد في عمري لكي اشهد هذا اليوم فأهرول فيه مع المهرولين !

اني عند ممارسة رياضة المشي او الهرولة اذكر الله في كل نفس آخذه ، وانا معتقد اعتقادا جازما بأن الهواء الذي استنشقه وهو مشحون بذكر الله لابد ان ينفع صحتي ويدرأ الضرر عنها.

اني مؤمن بالله ايمانا قاطعا لاشك فيه ، كما اني مؤمن بأن الله يستجيب لمن يدعوه مباشرة دون حاجة الى وسيط او شفيع . ومعنى هذا اني اختلف مع بعض الناس الذين اعتادوا على مخاطبة الله عن طريق الوسطاء والشفعاء . فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى :«ادعوني استجب لكم» .

ولكن بعض النلس لا يفهمون هذه الاية حق فهمها .. فهم اعتادوا في حياتهم الاجتماعية ان يلجأوا الى الوسطاء عندما تكون لهم حاجة لدى الحكام ، وهم يحسبون ان الله كحكام زمانهم لا يلبي حاجة لأحد الا عن طريق الوسطاء .

وهناك نقطة اخرى اختلف فيها مع بعض الناس. فهم قد تشغلهم العبادات الشكلية المتزمتة عن مخاطبة الله مباشرة . وتراهم يوسوسون في اداء عباداتهم الى الدرجة التي ينسون فيها ربهم والتقرب اليه . وهذا هو ما سار عليه المتصوفة ، وكان ذلك من اسباب النزاع الطويل الذي نشب بينهم وبين الفقهاء .

اني اميل الى طريقة المتصوفة في عبادة الله ومخاطبته. وهذا هو الذي جعلني اصلي لربي على جسر الائمة عند الغروب في بعض الايام، وخاصة عندما تكون في السماء بعض السحب المتناثرة التي تنعكس عليها اشعة الشمس الغاربة ، فأني اجد في ذلك منظرا رائعا يقربني الى الله ويحفزني الى الدعاء اليه والاستعانة به .

ومن المؤسف ان اقول ان هذا النوع من الصلاة لا يرضى عنه بعض الناس ، ولاسيما اولئك

الموسوسون المتزمتون . وقد حدث لي ذات مرة ان شاهدني احدهم وانا في تلك الحالة الصوفية، فصرخ في وجهي شاتما حيث نطق بكلمة بذيئة شتمني بها وشتم صلاتي . ولم اجد جوابا له سوى الحوقلة .

(سألني احدهم مرة عن الكتاب والادباء الذين نالوا التكريم في حياتهم بينما ناله البعض الاخر بعد موتهم ، وطلب مني ان احدد له نوع التكريم الذي افضله لنفسي : تكريم ما قبل الموت او بعده) .

بعد التجارب المرة التي عانيتها في حياتي صرت اشعر ان كلا النوعين من التكريم لا ينفع الانسان شيئا لا سيما اذا كانت (رجله على باب قبره) على حد تعبير العوام .

اني قررت ان ارفض اية دعوة للتكريم[1] في حياتي لو فرضنا انها وجهت لي لسبب من الاسباب . فأنا واثق انها لاتنفعني شيئا في هذه الايام الاخيرة من حياتي ، فأن اي تكريم او مكافأة او شهرة ينالها الانسان في اواخر ايامه يصدق عليها قول ابي فراس الحمداني :

اتت وحياض المـوت بينـي وبينهـا

وجادت بوصل حيث لاينفـع الوصل[2]

اما التكريم بعد الموت فهو لاينفعني كذلك فالانسان الذي يذهب الى ربه بعد الموت سيان عنده ان يجري التكريم له في هذه الدنيا او لايجري لان حساب الله في الاخرة - كما اشرت اليه آنفا - يقوم على اساس غير هذا الاساس الذي اعتدنا عليه في هذه الدنيا .

(وسألني احدهم ، مرة ، عن السبب الذي جعل شعر رأسي محافظا على لونه الاسود بالرغم من بلوغي سن الثمانين حسب التقويم القمري) .

لست اعرف جوابا لهذا السؤال . فقد رأيت كثيرا من الاشخاص ابيض شعرهم وهم في سن الثلاثين او دونه . بينما هناك اشخاص اخرون من امثالي ظل شعرهم محافظا على لونه القديم بالرغم من تقدمهم في السن .

وعلى كل حال فأن احتفاظ شعري بلونه الاسود ضرني اكثر مما نفعني. فأن بياض الشعر في الرجل يبعد النساء عنه ولكنه في الوقت نفسه يسبغ عليه شيئا من المهابة .

واعترف بأني في هذه المرحلة المتأخرة من العمر افضّل المهابة على التقرب من النساء !

---

(١) الغريب ان التكريم اليتيم للوردي كان من احدى الجهات الثقافية في البلد . ولكن الوردي لم يتسلم مبلغ التكريم ولم يتسلمه اهله فقد توفي ، رحمه الله ، في يوم اعلان اسماء المكرمين وحذفت تلك الجهة اسمه من قائمة التكريم (امعانا في تكريمه) .

(٢) ارسل الوردي هذا البيت من الشعر بيد ابنه الدكتور حسان الى المجتمعين لتكريمه في قاعة ابن النديم في المكتبة الوطنية وذلك قبل رحيله بشهور قليلة . وطلب منه ان يقرأه على الحاضرين. وقد تأثر الحاضرون بذلك وشكلوا لجنة لعيادته في داره بعد انتهاء الحفل مباشرة .

ازدواج الشخصية

(في كتبي حول المجتمع العراقي كان اهتمامي منصبا على ناحيتين هما ازدواج الشخصية وصراع البداوة والحضارة) .

مما يؤسفني ان موضوع ازدواج الشخصية قد اسيء فهمه من الكثيرين ، ومما يؤسفني ايضاً ان بعض الجهات في الخارج قد استغلته لاغراض لها غير علمية ، اذ هي فسرته تفسيرا يخالف ما قصدته منه .و اني في سفراتي الى الخارج حاولت الرد على هذا التفسير المغلوط وتصحيحه بمقدار جهدي .

ان تلك الجهات المغرضة تظن ان ازدواج الشخصية منحصر في الشعب العراقي وحده ، وهذا رأي لم اقل به ولايمكن ان يقول به باحث اجتماعي فقد ثبت علميا ان الازدواج موجود في جميع المجتمعات تقريبا ، انما هو يتفاوت في درجة شدته وسعة انتشاره من مجتمع الى اخر تبعا لاختلاف الظروف فيها .

ان الازدواج ينشأ في المجتمع عند وجود نظامين متناقضين من القيم الاجتماعية فيه . فالفرد الذي ينشأ في مثل هذا المجتمع يتلقى منذ طفولته نوعين من الايحاء الاجتماعي احدهما يدفعه نحو تقدير اخلاق معينة والاخر يدفعه نحو تقدير اخلاق مناقضة لها . وهو لذلك قد يتخذ في حياته العملية سلوكين مختلفين من حيث لا يدري .

كان الازدواج واضحا في العراق في العهد العثماني ، اذ كان الفرد حينذاك يسمع المواعظ الدينية من جهة وهي المواعظ التي تدعو الى اخلاق الحلم والتقوى والاخاء والزهد والتواضع بينما هو من الجهة الاخرى يرى الناس يقدرون (الشقي) الذي يوصف بأنه (سبع ورجّال زلمة) وانه (يغلب وما ينغلب) وانه (اذا مشى هز الارض برجله) ... الخ .

ولهذا كنا نرى بعض الافراد في العهد العثماني قد اصيبوا بأزدواج الشخصية فتراهم في بعض الاحيان (اتقياء) يذمون الدنيا وما فيها من طمع وتغالب واعتداء، بينما نراهم في احيان اخرى (اشقياء) يفتخرون بالغلبة والشطارة والسطو وقوة البأس...

يجب ان لاننسى ان الناس في ذلك العهد لم يكونوا كلهم كذلك . فمنهم من كان تقيا حقا لايحب اخلاق الشقاوة ولايرضاها في احد ، ومنهم من كان على العكس من ذلك شقيا لا

يعرف التقوى ، وكان هناك بعض الافراد في الوسط بين هذا وذلك وهم مزدوجون من حيث لايعرفون .

احب ان اذكر في هذه المناسبة عن محاضرة عامة القيتها في النجف قبل بضع عشرة سنة وكان عنوانها (شخصية الفرد النجفي) . وفحوى تلك المحاضرة ان المجتمع النجفي كان في العهد العثماني منقسما الى فريقين متعاديين هما (الزقرت) و (الشمرت) وكثيرا ما كانت المعارك الضارية تنشب بين الفريقين وينهب الغالبون بيوت المغلوبين على نحو ما تفعل القبائل البدوية في الصحراء .

يحدثنا الشيخ جعفر محبوبة في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» انه في عام ١٣٢٣ هـ - اي في عام ١٩٠٤ - شهد معركة محلية ضارية في النجف كان البطل المغوار فيها رجلا اسمه (عزيز باقر شام) وكان من (الشمرت). وقد ابدى هذا الرجل شجاعة منقطعة النظير ، وتمكن من قتل رجال من (الزقرت) مشهورين بالشجاعة والنجدة ، ولكنه قتل اخيرا هو وولداه اللذان كانا يقاتلان معه . وبذلك تم النصر النهائي لـ (الزقرت). ويقول الشيخ جعفر انه رأى بعينه الغالبين وهم يحملون الاثاث والفرش الثمينة التي انتهبوها من بيوت المغلوبين .

ان بلدة النجف في الوقت الذي كانت تلك المعارك المحلية تجري فيها على هذا المنوال كانت مركزا دينيا كبيرا فيه الكثير من المدارس الدينية وتقطنه المئات من الطلبة ورجال الدين . وهذا وضع لابد ان يؤدي الى ظهور ازدواج الشخصية في بعض الافراد قليلا او كثيرا ، اذ هم ينشأون على تقدير القيم المحلية من جهة وتقدير القيم الدينية من الجهة الاخرى .

يمكن القول بوجه عام ان رجال الدين كانوا يتصفون بالاخلاق الدينية ويشجبون القيم المحلية ويعدونها من اخلاق الجاهلية التي نهى الاسلام عنها ولكن القيم المحلية كانت في الوقت نفسه سائدة في اوساط العوام وهم كانوا يتفاخرون ويتنابزون بها. وماذا يمكن للفرد العادي ان يفعل تجاه هذه التناقض في مجتمعه ؟ فهو قد يجد نفسه مدفوعا في بعض الاحيان الى التزام القيم المحلية تارة والقيم الدينية تارة اخرى .

ارجو من القارىء ان لايعد ذلك مذمة لبلدة النجف فأن معظم المدن العراقية في العهد العثماني او كلها كانت تشبه النجف في ذلك على وجه من الوجوه . فقد كانت المعارك المحلية موجودة في كل بلدة تقريبا كما كانت معالم الدين والمواعظ الدينية موجودة كذلك . واني اريد ان انتهز هذه الفرصة لكي اقدم الشكر لاهل النجف لانهم تحملوا محاضرتي بروح موضوعية ، ولم يعارضوها او يجادلوه فيها الا في حدود ما يسمح به الاسلوب العلمي . ولو كنت قد القيت تلك المحاضرة في بلدة اخرى لربما اراني اهلها نجوم الضحى !

(يظن بعض الناس ان النفاق وازدواج الشخصية شيء واحد) .

(والواقع) ان النفاق وازدواج الشخصية صفتان مختلفتان فالازدواج لا شعوري لا يدري به صاحبه في اكثر الاحيان . اما النفاق فأن صاحبه يشعر به وهو يتقصد القيام به عمدا من اجل كسب منفعة شخصية له . وهو يكثر في المجتمع الذي يسوده النظام الاستبدادي وتضعف فيه الديمقراطية .

هناك مجتمعات قليلة قد يظهر فيها الازدواج والنفاق معا بدرجة كبيرة . ولكن هذا لايعني ان بينهما صلة مباشرة . فكل منهما له اسبابه الخاصة به كما انه له نتائجه الاجتماعية التي تختلف عن نتائج الاخر .

(اما اذا اردت رأيي في المجتمع العراقي في وضعه الحاضر من حيث وجود ازدواج الشخصية فيه ، فالواقع) ان هذا موضوع طويل عريض واني لم اتمكن من دراسته دراسة وافية من جميع جوانبه . والمأمول من الباحثين الشباب ان يتموا ما بدأنا به نحن الشيوخ ، ولكن الذي اخشاه منهم هو ان يضيعوا علينا الخيط والعصفور .

اني متفائل من بعض باحثينا الشباب واملي قوي في ان يقوموا بواجبهم في هذا السبيل ولكن الذي اخشاه عليهم هو ان يطغى عليهم المشعوذون الذين ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح . فقد عانينا من هؤلاء الشيء الكثير في زماننا . وهم موجودون في كل زمان ومكان مع الاسف الشديد !

صراع البداوة والحضارة

(اني في كتاباتي حول المجتمع العراقي اذهب الى القول بأن هذا المجتمع هو حصيلة صراع او تفاعل طويل بين الحضارة والبداوة .وهذا في رأي البعض غلوّ اوتطرف في الدراسة) .

ارجو ان تعلم ان هذا الرأي الذي توصلت اليه في المجتمع العراقي ليس فيه ذم لهذا المجتمع كما توهمه بعض النقاد وأثار سخطهم. فالواقع ان كل مجتمع في هذه الدنيا هو حصيلة الظروف التي مر بها سابقا . ولو درسنا تاريخ اي مجتمع لرأينا كيف اثرت الظروف التي مرت به في تكوينه . ولا يجوز أن نستثني المجتمع العراقي من هذه القاعدة العامة .

من الخصائص التي تميز بها العراق هي انه كان مهدا لحضارة تعد من اقدم الحضارات في تاريخ البشر او اقدمها . وقد ازدهرت الحضارة فيه مرة بعد مرة عبر تاريخه الطويل . ولكنه في الوقت نفسه يقع على حافة صحراء مليئة بالقبائل البدوية ، وقد اعتادت هذه القبائل ان تنتهز الفرصة في كل مرة تنحط فيها الحضارة في العراق لكي تتسلل اليه وتفرض قيمها البدوية عليه .

ان اخر مرة ازدهرت الحضارة فيها في العراق هي في العهد العباسي ، وعند سقوط الدولة العباسية علي ايدي المغول في القرن الثالث عشر حلت بالعراق فترة انحطاط حضاري تعدّ افظع مرحلة في تاريخ العراق الاجتماعي واستمرت نحو ستة قرون . ففي تلك الفترة سيطرت على العراق القيم البدوية او القيم العشائرية كما نسميها ، وتأثر بها اكثر الناس حتى في المدن، وان كان اهل المدن اقل تأثرا بها من اهل الريف والبادية .

من الجدير بالذكر ان الحضارة بوجه عام تقوم على اساس السلطة المركزية القوية القادرة على حماية ارواح الناس واموالهم في مختلف انحاد البلاد . وعند غياب السلطة او ضعفها يجد الناس انفسهم مضطرين الى الالتجاء الى القيم العشائرية لحماية انفسهم واموالهم . وهذا هو ما حصل فعلا في فترة الانحطاط التي اعقبت سقوط الدولة العباسية ، والتي استمرت حتى الحرب العالمية الاولى .

اني ادركت في طفولتي وصباي شيئا من بقايا تلك الفترة ، وكنت اسمع الذين هم اكبر مني سنا يتحدثون عنها كثيرا . فقد كانت القيم الاجتماعية السائدة فيها تتمثل في العصبية القبلية والمحلية والاسرية ، كما تتمثل في عادات الثأر والدخالة والنخوة وغسل العار

والضيافة وحق الجيرة والزاد والملح وما اشبه ذلك . اما القانون فلم يكن له اي اثر ايجابي في حياة الناس حينذاك ، اذ كانوا يفتخرون بمخالفتهم للقانون ، ومن يتعاون مع الحكومة في تنفيذه يكرهونه وقد يعدونه جاسوسا .

اعتاد الناس في تلك الفترة ان لايذهبوا الى دوائر الحكومة للشكوى لديها عند وقوع اعتداء عليهم بل هم يعتمدن في ذلك على قوتهم وقوة العشيرة او الاسرة التي ينتمون اليها . ان التفسخ الذي كان سائدا في دوائر الحكومة حينذاك جعل في مقدور المعتدي ان ينجو من العقوبة عن طريق الرشوة او الوساطة او كلتيهما . وكانت الحكومة لا تبالي ان يفعل الناس بأنفسهم ما يشاؤون ماداموا يدفعون لها الضرائب، او يدفعون الرشوات لموظفيها .

ظلت هذه القيم فعالة في الناس بعد انتهاء تلك الفترة ، غير انها اخذت تتضاءل تدريجيا تحت تأثير تنامي السلطة المركزية ومجيء الحضارة الحديثة .

يمكن القول على كل حال ان الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى في العراق شهدت صراعا شديدا بين القيم العشائرية التي كانت سائدة من قبل والقيم الحضارية التي بدأت تأتي. وهذا الصراع نلاحظه في كل منطقة في العراق ، غير انه يختلف شدة وضعفا تبعا لظروف المنطقة من حيث بعدها وقربها عن التأثير الحضاري .

اننا في هذه المرحلة التي نمر بها الان يجب ان نولي اهتماما كبيرا لهذا الصراع ، حيث نحاول مساعدة القيم الحضارية الحديثة على النمو ، كما نحاول مكافحة القيم العشائرية القديمة وتقليص امرها .

اني حاولت ذكر بعض الامثلة الواقعية لتلك القيم في الكلمة التي القيتها في المؤتمر الثالث للاجتماعيين العرب الذي اقيم في بغداد في اواخر تشرين الثاني ١٩٨٩. وفيما يلي اعيد ذكرها مع شرح موجز لها :

١- التدافع بين الناس عند دخول مكان او صعود حافلة او ما اشبه ذلك فالواحد منهم لا يلتزم الصف في ذلك بل يحاول التسابق مع الاخرين ، وقد يتدافع معهم بالقوة.

٢- التسابق بين الاصدقاء عند دفع ثمن او اجرة. فكل واحد منهم يريد التفوق على الاخرين بالكرم . وهم قد ينقلون هذه العادة معهم عند سفرهم الى الخارج ويكونون موضع سخرية الناس وتندرهم هناك .

٣- الاسراف في اعداد الطعام والتفاخر في الاكثار منه للضيوف . والمفروض في المضيف ان يصر على الضيف في تناول الطعام كما ان المفروض في الضيف ان يتظاهر بالتمنع عنه . وتجري المصاولة بينهما بشكل يدعو للتقزز احيانا .

٤- اعتياد بعض الناس على تخريب المرافق والممتلكات العامة كأكشاك الهاتف ، واشجار

الحدائق العامة والمتنزهات ، ومقاعد الحافلات . وكذلك اعتيادهم على مخالفة اوامر الحكومة وتعليماتها .

٥- التمخط والبصاق ورمي النفايات في الطرقات كيفما اتفق وكثيرا ما يرمون قشور الفواكه في وسط الطريق مما قد يؤدي الى زلق المارة والى اصابتهم بالضرر .

٦- ميل الحرفيين والباعة الى غبن الزبون او غشه او الكذب عليه .والذي يستخدم العمال في عمل ما ولا يشرف عليهم قد لا يحصل منهم الاعلى عمل ناقص او معيب [١] .

٧- التأثر بقيم القرابة والجوار والنخوة والشفاعة في المعاملات الرسمية . والموظف الذي لايستجيب لهذه القيم كما ينبغي قد يعتبره الناس بعيدا عن الشهامة وما تقضي به اصالة النسب .

(يتهمني بعض النقاد بأني اركز على الجوانب السيئة من مجتمعنا بينما انسى الجوانب الحسنة ، ومعنى هذا اني بهذا اخالف المنهج العلمي الذي يذكر الجوانب الحسنة والسيئة من كل شيء يدرسه) .

(اني اوافق على هذا القول) من ان المنهج العلمي يذكر الجوانب الحسنة والسيئة من كل شيء يدرسه . والواقع ان مجتمعنا كغيره من مجتمعات العالم فيه الجوانب السيئة والحسنة معا . اما تركيزي على الجوانب السيئة منه فهو امر لست منفردا به بل هو شأن جميع الباحثين الاجتماعيين في العالم حين يدرسون مشاكل مجتمعهم .

اننا حين نقرأ ما كتبه الاجتماعيون الامريكيون عن مساوىء مجتمعهم نجد عجبا فهم في الوقت الذي يعترفون فيه بان المجتمع الامريكي قد بلغ في تطوره الصناعي والحضاري درجة عالية جداً يعترفون ايضاً بما فيه من انحراف واجرام وتمييز عنصري وتفسخ . وهم يأتون في ذلك باحصاءات وتحليلات تثير الدهشة .

ان الباحث الاجتماعي يشبه الطبيب من بعض الوجوه . فالطبيب يركز اهتمامه عادة على دراسة الامراض في الناس وكيف يعالجها . وهذا هو ما يجب ان يفعله الباحث الاجتماعي .

اني اشكر المسؤولين عندنا حين سمحوا للصحف بالكشف عن مساوئنا بصراحة. وهذا معناه اننا نسير في طريق الحضارة فعلاً . فقد ذهب ذلك الزمان الذي اعتاد الناس فيه على ذكر محاسنهم من حيث ينسون مساوئهم . ان كل مجتمع بشري مهما كان عظيماً لايمكن ان يخلو من مساوىء خاصة . فالكمال لله وحده كما قيل قديماً.

---

(١) روى لي الوردي ، مرة ، انه عندما كان في امريكا ، ايام دراسته فيها ، سكن في بيت امرأة عجوز ، ولاحظ مرة انه هذه العجوز استخدمت نجاراً للعمل في تصليح اثاث بيتها ، وتركته يعمل دون اشراف منها . ولما قال لها الوردي ان هذا النجار ربما سيكون عمله ناقصاً او معيباً مادام يعمل بدون اشراف منها اجابته انه اذا فعل ذلك فلن يجد من يستخدمه في عمل في كل الولايات المتحدة الامريكية .

الخارقيـــة

(في عـام ١٩٥٢ صـدر لي كـتـاب بعنوان «خـوارق اللاشـعـور» يبـحث في علم الباراسيكولوجي الذي اسميه علم الخارقية . وهو اول كتاب يصدر في اللغة العربية حول هذا العلم الجديد . والسؤال الذي يواجهنا هو : ما علاقة هذا العلم بعلم الاجتماع الذي هو موضوع اختصاصي ، وما الذي دعاني الى الاهتمام به قبل غيري من المؤلفين العرب ؟) .

ان علم الخارقية ، او الباراسيكولوجي كما يسمونه في اللغات الاجنبية ، له صلة وثيقة بالظواهر الاجتماعية ولاسيما في المجتمعات المتخلفة والنامية . فقد اكتشف هذا العلم ان بعض الافراد لديهم قدرات نفسية خارقة ، ولكن هذه القدرات كانت في الماضي ، ولاتزال حتى الآن ، يفسرها العوام بانها من افاعيل الجن او السحر او ما اشبه ، وكانوا يحيطونها بالخرافات المبالغ فيها ، ويحاولون اتقاء شرها بالتعاويذ والطلاسم . وادى ذلك الى ظهور حرف شعبية تتعاطى فتح الفال والاتصال بالجن في زعمهم وكتابة الطلاسم وغيرها ، وهي حرف قد تتصف بالشعوذة واستغلال جهل العوام ، وكان لها عواقب اجتماعية ونفسية سيئة .

اني اتذكر ايام طفولتي عندما كنت ارى في بعض الاحيان شخصاً يمشي في الازقة وهو ينادي عن نفسه «فوال .. فوّال» ، كما كنت اسمع عن اشخاص يسمى الواحد منهم «فتاح فال» . وهم يتعاطون الحرف التي ذكرناها . وقد ذهبت ذات يوم الى احدهم مع والدتي ، ورأيت الناس يلجأون اليهم لاستشارتهم في حل مشاكلهم على نحو ما يلجأون الآن الى عيادات الاطباء لعلاج امراضهم .

ومن الجدير بالذكر ان تلك الحرف لم ينحصر انتشارها في مجتمعنا فقط بل هي عامة في جميع المجتمعات البشرية حتى المتقدمة منها ، ولكنها تتفاوت في درجة انتشارها تبعاً لتقدم الحضارة في المجتمع ، وكلما كان المجتمع اكثر تقدماً من الناحية الحضارية قل انتشار تلك الحرف فيه ، غير انه مع ذلك لايمكن ان يخلو منها خلواً تاماً . وهذا هو سبب مانراه في البلاد المتقدمة من وجود اشخاص يحترفون التنجيم وقراءة الابراج وغيرها .

كان الناس في الماضي منقسمين تجاه القدرات الخارقة الى فريقين ، احدهما يصدق بها

ويحيطها بالخرافات كما رأينا ، والاخر يكذب بها ويعتبرها غير معقولة وخرافية من اساسها .
وجاء علم الخارقية اخيراً فوضع حداً لهذا الانقسام . فالقدرات الخارقة في نظر هذا العلم حقيقة ولكنها لاتقوم على الاساس الذي يعتقد به العوام .

ان علم الخارقية قدم للبشرية خدمة كبرى من ناحيتين ، فهو قد جرد القدرات الخارقة من الخرافات المحيطة بها من ناحية ، وهو قد اكتشف في تلك القدرات مواهب يمكن للانسان ان يستثمرها في حياته العملية من الناحية الاخرى .

(ولكن كيف يمكن للانسان ان يستثمر القدرات الخارقة في حالة وجودها فيه لكي يستفيد منها في حياته العملية؟) .

ان هذا موضوع طويل ومعقد . وقد تطرقت اليه في بعض كتبي ومقالاتي. ولابأس ان اتحدث عنه الآن باقتضاب .

ان القدرات الخارقة عدة اصناف ، وكل صنف منها هو على درجات متفاوتة في الافراد . ومن الممكن القول ان اكثر الافراد يملكون قسطاً ضئيلاً من تلك القدرات ، غير ان هناك افراداً قليلين يملكون قسطاً كبيراً من احدى تلك القدرات ، او اكثر من واحدة منها ، وهم اذا تمكنوا من اكتشافها في انفسهم في الوقت المناسب كان في مقدورهم ان يستثمروها في حياتهم العملية فينفعوا بذلك انفسهم ومجتمعهم .

ان القدرات الخارقة تساعد الانسان على النجاح في حياته كمثل ما تساعده المواهب الاخرى كالذكاء وغيره . ولكن المشكلة في المواهب البشرية بوجه عام ان صاحبها قد لايعرف عنها شيئاً فتضيع ثمرتها عليه ، وقد تكون في بعض الاحيان شؤماً عليه او عقبة تعرقل عليه طريق النجاح .

المتوقع للحضارة البشرية في المستقبل ان يأتي عليها يوم يفحص الطفل فيه في سنواته الاولى لاكتشاف المواهب الموجودة فيه ، الخارقية والذكائية وغيرها ، ثم يوجه نحو المهنة التي هو مؤهل لها ، وبذا تختفي هذه العادات الضارة السائدة بيننا الآن من حيث توجيه الاطفال نحو المهن التي نشتهيها لهم دون الاهتمام بمواهبهم الفطرية.

(ان علم الخارقية كشف النقاب عن الاساس العلمي للعقيدة التي شاعت بين الناس منذ قديم الزمان حول الجن ، ولكن هناك عقيدة اخرى شائعة هي العقيدة بالحظ فهل استطاع علم الخارقية ان يكشف النقاب عن الاساس العلمي لها ؟) .

نعم ان علم الخارقية قد حل لغز (الحظ) بالتعاون مع علم النفس . فعلم الخارقية درس القدرات الخارقة في الانسان كما درس علم النفس القدرات الذكائية وغيرها . وقد تبين اخيراً

ان كثيراً من الاشخاص نجحوا في حياتهم بسبب وجود بعض هذه القدرات فيهم ، ولكن الناس لم يكونوا يعرفون هذا السبب واضطروا الى تفسير النجاح بعامل غيبي اطلقوا عليه اسم «الحظ» كما هي عادتهم دائماً في تفسير الظواهر التي لايعرفون لها تفسيراً .

خذ مثلا التخاطر ، اي القدرة على قراءة افكار الغير أو التأثير في تفكيرهم . فهذه القدرة قد يملكها احد الاشخاص ثم تتيح له الظروف ان يمتهن مهنة تنفع فيها هذه القدرة كالتجارة مثلاً . وبذا يستطيع هذا الشخص ان ينجح في مهنته دون ان يعرف هو سبب نجاحه او يعرفه الناس عنه .

ان قدرة التخاطر تساعد التاجر على التعرف على زبائنه او التأثير فيهم . وهو قد ينجح بسبب ذلك في التجارة نجاحا كبيراً . ولكنك حين تتحدث الى مثل هذا التاجر الناجح تجده غبياً لايحسن الكلام او المناقشة الفكرية ، وقد تتعجب حين تراه ناجحاً في مهنته ، وتتساءل عن السبب في نجاحه . أنك لاتدري انه لو كان ذكياً حسن الحديث والمناقشة لما تمكن من النجاح في مهنته . فكل مهنة هي في حاجة الى قدرة او موهبة خاصة بها وقد يصح ان نقول ان موهبة الذكاء التي تمكن الفرد من النجاح في المدرسة والجامعة قد لاتنفعه في السوق . فالناجح هناك قد يفشل هنا ، والفاشل هناك قد ينجح هنا .

الانويـــــة

(يلاحظ القارىء في مقالاتي وكتبي ومحاضراتي اني اكثر من ذكر مصطلح «الانوية» وهو مصطلح قد لا يوليه احد غيري هذا الاهتمام في اللغة العربية) .

اني تحدثت غير مرة عن معنى هذا المصطلح ، وقلت انه يعني شعور الانسان بالانا تجاه الاخرين وسعيه المتواصل نحو رفع شأنها في نظرهم . والواقع ان الانوية لها اهمية قصوى في الطبيعة البشرية ، ومن الممكن القول ان هذا الموضوع لم يلق في اللغة العربية الاهتمام الجدير به . وقد اصبح من الواجب علينا ان نلفت الانظار اليه ونعطيه المكانة المناسبة له .

ان النظرية التي كانت شائعة في البلاد العربية حول الانا هي التي جاء بها فرويد وادلر وغيرهما من اصحاب مدرسة التحليل النفسي ، وهي تختلف عن النظرية الاحدث منها والتي جاء بها «كولي» و «ميد» من علماء الاجتماع الامريكيين . وفي رأيي ان هذه النظرية الحديثة اكثر قدرة على فهم الطبيعة البشرية واقرب منها الى واقع هذه الطبيعة .

فحوى النظرية الحديثة في الانوية هو ان الانا محور الشخصية البشرية وانها من اهم العوامل التي جعلت الانسان حيواناً اجتماعياً .

ان الانسان ليس لديه غريزة اجتماعية موروثة كما هو الحال في النحل والنمل وغيرهما من الحشرات الاجتماعية . فالانسان الذي ينشأ بين الحيوانات منذ طفولته الباكرة يصبح حيواناً مثلها في سلوكه . وقد عثر على افراد من هذا الطراز غير قليلين كما هو مدون في المصادر العلمية .

ان الانسان في سلوكه الاجتماعي لايندفع بتأثير غريزة ثابتة فيه ، بل هو يريد مجاراة الناس حوله ويحاول التفوق فيها لكي ينال المكانة العالية بينهم او لكي يتجنب انخفاض مكانته على الاقل .

ان الحيوان ليس لديه شعور بالانا ، وكذلك الطفل البشري في ايامه الاولى اذ هو لايشعر حينذاك بالانا ، ثم يبدأ هذا الشعور بالظهور فيه تدريجياً . ومن اولى علامات هذا الشعور فيه انه يبتشر حين نمدحه ويمتعض حين نذمه .

ان ظهور الغيرة في الطفل يدل على وجود الانوية فيه . والملاحظ ان الطفل يكون شديد الحساسية تجاه اقرانه من الاطفال . فنحن لا نكاد نمدح واحدا منهم امامه او نحمله ونتضاحك

معه ، حتى نراه قد شعر بالغيرة منه وهو قد يبكي او يغضب دون سبب ظاهر ، وربما حاول ايذاء ذلك الطفل او الاعتداء عليه .

ان التربية القديمة كانت غافلة عن وجود الانوية في الطفل ، وهي بذلك قد اضرت به في تكوين شخصيته وادت الى نشوء بعض العقد النفسية فيه .

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد ان الشخص البالغ لايختلف عن الطفل من حيث طبيعة الانوية فيه ، فهو يبتش للمدح ويمتعض من الذم ، كما يتألم حين يرى غيره قد نال من التقدير اكثر منه . وهذا منشأ الحسد في الانسان .

ولكن الفرق بين الطفل والشخص البالغ في ذلك هو ان الطفل لم يتعود بعد على الرياء او التظاهر او الادعاء المصطنع . ولهذا فأن الانوية تبدو عليه بسذاجتها الفطرية من غير تصنع . اما الشخص البالغ فهو يحاول كبت الانوية في نفسه وتغطيتها بشتى المزاعم والادعاءات لكي لا يقال عنه انه معجب بنفسه او مغرور .

(قلنا آنفا ان الانا في الانسان نوعان ، اجتماعية وفردية ، فالاولى تجعل الانسان يجاري مجتمعه والثانية تجعله يتمرد عليه . وقلنا ايضا ان جميع الناس لديهم هذان النوعان من الانا ولكن على درجات ونسب متفاوتة) .

ان الانا الاجتماعية هي التي ساعدت على قيام المجتمع البشري ، اما الانا الفردية فهي التي ساعدت على تغييره وتطويره ولولاها لصار المجتمع البشري جامدا راكدا لايتغير على توالي الاجيال[1] .

ان اكثر الناس ، ولاسيما العوام منهم ، هم الذين تسيطر عليهم الانا الاجتماعية سيطرة قوية بحيث لاتسمح للانا الفردية بالتأثير عليهم بشكل ظاهر . وهنا يجب ان نقول ان الذين يظهر عليهم تأثير الانا الفردية قليلون بالنسبة الى السواد الاعظم من الناس .وهم فئتان ، احداهما متمردة نحو الاعلى وهي التي تتمثل في المصلحين والمجددين والنابغين ، والاخرى متمردة نحو الاسفل وهي التي تتمثل في المنحرفين والمجرمين والمعقدين والمجانين ومن اشبه .

من مزايا المتمرد نحو الاعلى ان كلا النوعين من الانا قوية فيه . فهو يريد مجاراة مجتمعه ونيل المكانة العالية فيه من جهة ، وهو من الجهة الاخرى لايستطيع ان يصبر على ما في مجتمعه من قيم ومعتقدات مغلوطة . وهو قد يعاني صراعا نفسيا من جراء وجود هاتين النزعتين المتناقضتين في نفسه .

اعرف شخصا يريد ان يكون نابغا عظيما ولكنه في الوقت نفسه يجاري العوام في كل ما

---

(١) اعتاد الوردي في كتاباته واحاديثه ومحاضراته ان يعود بين حين وآخر الى موضوع كان ذكره سابقا لينبه الى اهميته او ليثير افكارا جديدة حوله او ليورد معلومات اخرى بصدده ، وقد اتهمه البعض بأنه (يعيد ويصقل) وقال لي هو (رحمه الله) ان البعض اطلق عليه اسم (الدكتور صاقول) وبسخريته المعروفة قال لي وهو يبسم ولكني (اعيد واصقل) لاتأكد من ان من سمع الموضوع فهمه تماما ليتسنى لي الانتقال الى موضوع سواه.

يفعلونه ويعتقدون به . فهو لايكاد يرى جماعة من العوام تحيط به في مجلس او محفل حتى يبدأ بدغدغة عواطفهم وبتأييد ما يعتقدون به مهما كان سخيفا او ضارا.

ان هذا الشخص قادر ان ينال المكانة العاليّة بين العوام ، وهو يجب ان يكتفي بذلك فلا يطمح ان يكون نابغا او مصلحا يذكره التاريخ . انه يجب ان يعلم ان ليس في مقدوره ان يجمع الامرين في نفسه ، فكل منهما له طبيعة تختلف عن طبيعة الاخر .

(سألني احدهم مرة هل اني اعتبر نفسي من فئة المتمردين نحو الاعلى حيث ذكرت ان الانا الفردية لعبت دورها فيّ في المرحلة الثانية من حياتي) .

اني اتمنى ان اكون كذلك ولكني مع ذلك يجب ان اعترف بأني غير قادر عليه .

الواقع اني اشعر بالثورة على الكثير من القيم والمعتقدات السائدة في مجتمعنا غير اني لا استطيع اعلان ذلك على الناس ، وكثيرا ما احاول مداراة العوام ودغدغة عواطفهم – مع الاسف الشديد ! [1] .

مرت بي بعض الفترات حاولت فيها ان اكون صريحا في كتاباتي حيث جابهت الناس بالحق الذي اراه . ولكن تلك الفترات كانت قصيرة ، اذ لم اكد المح بعض بوادر السخط من الناس حتى تراجعت امامهم وعدت الى ديدني القديم في المداراة والدغدغة .

اني عندما ادرس سيرة المصلحين والمجددين والنابغين الذين غيروا وجه التاريخ اجد انهم يختلفون عنا نحن جمهرة البشر. وليس في مقدور اي واحد منا ان يكون مثلهم بارادته واختياره . وقد يصح ان اقول انهم من طينة اخرى !

(ان لي مذكرات اخرى[2] اجلت نشرها الي مابعد موتي . والسبب الذي دعاني الى ذلك ناشيء من رغبتي في تجنب سخط الناس) . فلو قرأت مذكراتي المؤجلة لوجدتها مليئة بالنقدات الاجتماعية الشديدة ، ولاسيما فيما يتصل بالمعتقدات والطقوس الدينية التي ورثناها من الماضي واضرت بنا ضررا فادحا . فأني حين رأيت نفسي غير قادر علي مجابهة الناس بتلك النقدات في حياتي قررت ان اجابههم بها بعد موتي . وهم اذا ارادوا ان ينبشوا قبري فليفعلوا ما يريدون ، فأن الانسان عند ذهابه الى ربه لايخشى احدا سواه .

---

(١) لم يعرف عن الوردي انه دارى العوام او دغدغ عواطفهم ، وهو يورد ذلك مشفوعا بـ (مع الاسف الشديد) من باب السخرية .

(١) كان الوردي كثيرا ما يشير في احاديثه الى هذه المذكرات التي كان يقول عنها بأنها ستصدر (بعد موته الذي هو قريب ان شاء الله) ولكن احدا من ابنائه لم يؤيد وجودها او العثور عليها بعد وربما ستظهر في المستقبل مع كتاب (طبيعة البشر)

العقل البشري

(العقل احد نواحي الطبيعة البشرية . والواقع ان موضوع العقل البشري هو من اكثر المواضيع اهمية ، ان لم يكن اكثرها اهمية على الاطلاق ، من حيث علاقته بالحياة الاجتماعية وكيف يستطيع الفرد ان ينسجم معها او ينجح فيها . فأن المفاهيم المغلوطة التي ورثناها من الماضي حول العقل ادت الى الضرر بنا من نواح عديدة) .

(في عام ١٩٥٥ صدر لي كتاب بعنوان (مهزلة العقل البشري) ، وهذا العنوان في رأي بعض النقاد غير علمي) .

ان رأي النقاد صحيح من بعض الوجوه . فالعقل البشري هو من اهم المزايا التي يتميز بها الانسان عن الحيوان وهو الذي ابدع هذه الحضارة الكبرى التي نشهدها اليوم . هذا ولكننا في الوقت الذي نعترف فيه بعظمة العقل يجب ان لاننسى ان عظمته لها حدود تقف عندها ، وان العقل لايكاد يتجاوز تلك الحدود حتى يبدو عليه الضعف والتهافت وقد يصبح في آخر الامر مهزلة او شبيها بالمهزلة .

انظر الى الخرافات والسخافات والاباطيل التي تؤمن بها جماهير غفيرة من البشر حيث نرى كل طائفة منهم تعتقد اعتقادا جازما بأن الحق معها وحدها ، وانها وحدها تفكر في ضوء العقل والمنطق ، وهي تعتبر المخالفين لها متعصبين او معاندين او جهلة.

وانظر كذلك الى البشر في تنازعهم الفردي والجماعي فأنهم لم تمر عليهم فترة من الزمن طيلة تاريخهم الطويل لم يتنازعوا فيها . ولو فرضنا اننا طلبنا من اي فريقين متنازعين من البشر ان يحلوا تنازعهما بالاحتكام الى العقل لما كان لطلبنا هذا اي اثر فيهما ، اذ كل فريق منهما حين يحتكم الى عقله يتصور ان الحق معه وان الباطل مع خصمه .

ان العقل - كما قال وليم جيمس - خلقه الله في الانسان لكي يساعده على تنازع البقاء كمثل ما خلق الناب في الاسد والخرطوم في الفيل والسم في الحية . وقد اخطأ الفلاسفة القدامى في رأيهم بأن وظيفة العقل هي للبحث عن الحقيقة المطلقة او التمييز بين الحق والباطل . ان الذي يريد ان يعامل البشر في ضوء هذا الرأي القديم لابد ان يكون مصيره الفشل في الحياة .

اني عندما عنونت كتابي (مهزلة العقل البشري) في عام ١٩٥٥ كنت انظر الى الضجة

التي قامت ضدي على اثر صدور كتابي (وعاظ السلاطين) في عام ١٩٥٤ فقد هددت حينذاك بالقتل غير مرة ، وصدرت ضدي سبعة كتب ، وكرس احد خطباء التعزية ليالي رمضان كلها للتهجم على الكتاب ومؤلفه .

واني حين اقرأ الان كتاب (وعاظ السلاطين) لاأجد فيه ما يستحق كل تلك الضجة . ولكن العوام كانوا حينذاك يفكرون بشكل اخر ، كما كان ديدنهم في كل زمان ومكان . فهم كما وصفهم الامام علي (ع) : «ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح» وليس هذا شأن العوام وحدهم ، فأن كثيرا من الذين يصفون انفسهم بأنهم مثقفون او متفقهون لا يختلفون عن العوام في تفكيرهم .

ان العقل البشري بوجه عام لايستطيع ان ينظر في الامور نظرة حيادية مطلقة لان هناك عوامل لا شعورية عديدة تؤثر في تفكيره من حيث لايدري ، كالمعتقدات التي نشأ عليها والعاطفة والمصلحة والانوية وحدود المعرفة والتجارب المنسية والعقد النفسية وغيرها . فالانسان حين يفكر يتصور انه حر مطلق في تفكيره لانه لايعرف العوامل اللاشعورية المؤثرة في عقله . فنحن حين نتهم المخالف لنا بالتعصب او العناد او الجهل لاندري انه هو نفسه يتهمنا بمثل ما اتهمناه به . وهذا هو ما اشار اليه القرآن الكريم اذ قال (وكل حزب بما لديهم فرحون) .

من المؤسف ان نجد كثيرا من متعلمينا لم يدركوا هذه الحقيقة بعد ، اذ هم لايزالون قابعين في قوقعتهم العقلانية القديمة التي جاء بها الاغريق قبل اربعة وعشرين قرنا من حيث الثقة المطلقة بالعقل . ومن يقرأ كتاباتهم او يشهد مجادلاتهم يراهم لايختلفون عن المفكرين القدامى الذين اعتادوا ان يستهلوا مقالاتهم بعبارات (مما لاشك فيه) و (مما اتفق عليه العقلاء) و (مما لايتجادل فيه اثنان)وما اشبه[1] .

(المعروف عن الاغريق القدامى انهم انتجوا في عصرهم ثورة فكرية كبرى ، ومازال فلاسفتهم كسقراط وافلاطون وارسطو موضع اعجاب العالم) .

اني لا انكر ، ولا يجوز لي ان انكر ، عظمة الثورة الفكرية التي جاء بها فلاسفة الاغريق من امثال سقراط وافلاطون وارسطو . ولكني مع ذلك استطيع ان اقول ان ثورتهم.

كانت كأية ثورة اخرى في التاريخ ليست مطلقة بل هي نسبية . فهي قد قامت بدورها في تطوير الفكر البشري ، غير ان دورها هذا قد انتهى وحل محله دور ثورة اخرى.

من الجدير بالذكر في هذا الصدد ان الفكر البشري مر عبر تاريخه الطويل بمراحل ثلاث هي

---

(١) قال لي الوردي ان هذه العبارات تلحقها عبارتا (مما لا ريب فيه) و (مما لا يقبل النقاش والجدل) وسواهما تمنع منذ البداية الجدل والنقاش وتحكم على الفكر بالجمود معتبرة الامور النسبية امورا مطلقة .

كما يلي :

١- المرحلة اللاعقلانية .

٢- المرحلة العقلانية

٣- المرحلة العلمية .

من الممكن ان نعتبر الثورة الفكرية التي قام بها الاغريق بداية المرحلة العقلانية في التاريخ البشري . فقد كان البشر قبلهم يعيشون في المرحلة اللاعقلانية اذ كانت الاساطير والخرافات والغيبيات سائدة فيهم .وجاء فلاسفة الاغريق بثورتهم التي دعوا فيها الى الاعتماد على العقل والمنطق وترك جميع المعتقدات الخرافية التي لا تنسجم معهما. وقد احدثت ثورتهم هذه هزة في الافكار حيث تبنتها نخبة من المفكرين في مختلف الشعوب ، وصار هؤلاء نبراسا استضاء به الكثيرون على توالي الاجيال .

ان الثورة الاغريقية قامت على اساس الثقة المطلقة بالعقل والاعتماد عليه في البحث والجدل . وهذه الثورة كانت لها قيمتها واهميتها ، ومازالت كذلك ، تجاه العوام الذين تسيطر عليهم الخرافات والاساطير، غير انها فقدت قيمتها في الاوساط العلمية الحديثة ، او هي اصبحت رجعية تعرقل سبيل البحث والتفكير الصحيح فيها .

ان المرحلة العلمية التي جاءت بها الحضارة الحديثة هي بمثابة ثورة على المرحلة العقلانية السابقة لها كمثل ما كانت المرحلة العقلانية ثورة على المرحلة اللاعقلانية. فكل مرحلة لها دورها واهميتها في وقتها . وهذا هو ما نريد تنبيه الاذهان اليه ، فأن كثيرا من المتعلمين عندنا - كما اشرت اليه آنفا - يفكرون على النمط العقلاني وهم يحسبون انهم علميون .

ان اوضح مثل يمكن ان نأتي به في هذا الصدد هو نظرة الناس الى القدرات الخارقة التي اكتشفها علم الخارقية الجديد في الانسان .

فأن هذه القدرات عرفها الانسان منذ قديم الزمان ، كأصابة العين والتنبؤ وقراءة الافكار والاستبصار عن بعد وتأثير الايحاء وغيرها . فهي يملكها بعض الافراد بشكل يلفت النظر ، ولكن الناس اتخذوا تجاهها ثلاثة مواقف مختلفة على النحو التالي :

١- موقف لاعقلاني ، وهو الموقف ألذي اعتاد عليه العوام اذ هم فسروا تلك القدرات بأنها من فعل مخلوقات غيبية كالجن والشياطين والملائكة واحاطوها بالخرافات وحاولوا اتقاء شرها بالطلاسم والتعاويذ .

٢- موقف عقلاني ، وهو الموقف الذي اعتاد عليه المتعلمون عندنا وعند غيرنا ، اذ هم اتخذوا تجاه القدرات الخارقة موقف التكذيب والانكار المطلق واستهزأوا بمن يصدق بها ، وبذا

ضاع عليهم فهم جانب مهم من الطبيعة البشرية .

٣- موقف علمي ، وهو الموقف الذي قام عليه علم الخارقية الجديد ، اذ هو وضع القدرات الخارقة على بساط البحث التجريبي والموضوعي دون اهتمام بخرافات اولئك وتكذيب هؤلاء . فالعلميون اذا سمعوا عن شخص يملك قدرة خارقة ذهبوا اليه واخذوا يفحصونه فحصا دقيقا لكي يكتشفوا حقيقة تلك القدرة ودرجتها ومداها . وهذا المنهج العلمي هو الذي فتح لنا آفاقا في الكون والانسان كان الناس يجهلونها من قبل.

خلاصة القول اننا نعيش اليوم في المرحلة العلمية ، وقد ذهب زمان المرحلة العقلانية كما ذهب زمان المرحلة اللاعقلانية قبلها . واصبح من الواجب علينا ان نفهم ذلك قبل فوات الاوان!

اللغة والنحو والشعر

قلت غير مرة سابقا ، واعيد القول هنا ، ان اللغة في مفهومها الحضاري وسيلة لا غاية ، وهي اذن يجب ان تخضع للتيسير والتطوير لكي تتكيف مع الظروف الاجتماعية المستجدة[1].

وفي رأيي ان الذين يسعون لتعقيد لغتهم وتجميدها انما هم يسيئون الى امتهم من حيث يظنون انهم يحسنون اليها .

يجب ان لا ننسى ان الدعوة الى تيسير النحو ليست جديدة فقد دعا اليها في الماضي كثيرون كان احدهم ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) وهو عاش في القرن السادس الهجري . اما في عصرنا فقد ظهر من دعاة التيسير ابراهيم مصطفى في كتابه (احياء النحو) وامين الخولي وعبدالستار الجواري وغيرهم . والمعروف عن ساطع الحصري انه كان يدعو الى تيسير النحو كذلك ، وهو كان يعلن تذمره احيانا مما في قواعد النحو من تصعيب وتعقيد ويعد ذلك مضرا بالامة العربية في مسيرتها الحضارية الحديثة .

قرأت منذ عهد قريب كلمة لاحد المتعصبين للنحو نشرته احدى المجلات العربية ، وهذه فقرات منها . حيث يقول كاتبها مانصه :

(من ابرز سمات الوحدة العربية هي اللغة العربية وهذه اللغة هي العالم الامثل بالنسبة لنا نحن العرب .. اذ ان لها اثرا عظيما في تكوين وصياغة نفسياتنا .. فأن الذين يحاربون لغتنا بسوء انما يضمرون لنا الاسوأ .. فهم يريدون تبسيط اللغة العربية ويريدون حذف الكثير منها ، الم يعلم اي من هؤلاء ان لغتنا مقدسة كالصلوات الخمس. فهل يستطيع انسان ان يترك واحدة منها للسهولة او البساطة) .

ان هذا الكاتب يعتبر اللغة كالصلاة مقدسة لا يجوز التغيير فيها . وهذه دعوة لو اتبعناها لاضرت بنا في مسيرتنا الحضارية على نحو ماقال ساطع الحصري . فاللغة كما اشرت اليه انفا وسيلة لاغاية ، ونحن نريد لغة تساعدنا على فهم الحياة وعلى تقريب الاقطار العربية بعضها من بعض . اما اللغة الصعبة المعقدة فهي تؤدي الى العكس من ذلك كما لايخفى .

وصل التعقيد في القواعد النحوية الى درجة جعلت التلاميذ في مدارسنا يحفظونها من اجل الامتحان ثم ينسونها بعدئذ ، ولم اجد سوى القليل منهم من يتابعها ويلتزم بها في حياته . وطالما سمعت بعض رجالنا المعروفين وهم يخطئون في النحو عندما يتحدثون ارتجالا

---

(١) المعروف عن الوردي انه دعا الى تيسير النحو العربي منذ زمن طويل ، وقد اثارت دعوته هذه سخط الكثيرين عليه . وله في هذا المجال مساجلة مع الدكتور عبدالرزاق محي الدين ضمها كتاب (اسطورة الادب الرفيع) .

ومنهم من يخطئون فيه عند القاء خطبهم المكتوبة[1]

ولا لوم عليهم في ذلك . فقد ورد في الامثال العربية القديمة « اذا اردت ان تطاع فمر بما يستطاع » فأن القواعد النحوية اذا كانت اصعب مما يقدر عليها اكثر الناس فلابد ان نتوقع الخطأ منهم فيها على كل حال .

اعرف شخصا هو من اكثر الناس تعصبا للنحو وهو يتهم دعاة التيسير له بالعداء للعروبة ، ولكنه في الوقت نفسه من اكثر الناس خطأ في النحو حتى في كلماته المكتوبة . وقد حدث له ذات يوم ان القى كلمة مكتوبة في مقر احدى الجمعيات ، وكانت كلمته مملوءة بالاخطاء النحوية . وبعد انتهاء الحفل سأله احد الحاضرين : كيف يوفق بين تعصبه للنحو وكثرة اخطائه فيه ؟ فكان جوابه : ان علم النحو هو كعلم الطب او غيره من العلوم التي يتخصص بها بعض الافراد دون غيرهم . ففي رأيه ان المتخصص بالنحو يجب ان يراجعه الناس ليستشيروه حول قواعد النحو كمثل ما يراجعون الطبيب لاستشارته حول امراضهم .

يمكن تشبيه القواعد النحوية التي صنعها النحاة القدامى بالقواعد الفقهية التي صنعها الفقهاء . فنحن نعرف ان النبي محمد «ص» جاء بتعاليم محدودة في شأن الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والحج والمعاملات ولكن الفقهاء جاءوا بعدئذ فطوروا تلك التعاليم وعقدوها بحيث اصبح من الصعب على الانسان ان يلتزم بها بحذافيرها ، ومن يريد التزامها حرفيا قد يصاب بداء الوسوسة الذي لا يرجى شفاؤه[2] .ان الذي يقرأ المجلدات الضخمة التي كتبها الفقهاء في موضوع الطهارة والنجاسة مثلا يجد بحرا لا نهاية له . وهم قد ينطبق عليهم قول النبي «ص» في بني اسرائيل حيث وصفهم بأنهم « ضيقوا على انفسهم فضيق الله عليهم » فهم جعلوا الاسلام اصعب دين على وجه الارض[3] كمثل ما جعل النحاة اللغة العربية اصعب لغة على وجه الارض !

خلاصة القول اننا في حاجة الى تجديد واصلاح في كثير من شؤوننا الدينية واللغوية والاجتماعية .

وقد ظهر لدينا في هذه الشؤون مصلحون على توالي العصور ومن المفروض فينا ان نتبع خطى المصلحين ونقتدي بهم بدلا من اتباع المتعصبين والمتشددين .

---

(١) لم يلاحظ على الوردي مرة انه اخطأ في قواعد النحو العربي وهو يتحدث او يرتجل كلمة او يلقي محاضرة. وكانت كلماته تصل الى الاذان صافية من اللحن .

(٢) حدثني الوردي اكثر من مرة انه كان مصابا بداء الوسوسة وانه ظل كذلك لفترة طويلة حتى اذا ما ذهب للدراسة في الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٩٤٦ شفي من هذا الداء.. ولكنه قال لي في احدى المرات ان بعض آثار ذلك الداء مازالت موجودة في نفسه .

(٣) حضرت جدلا اثاره الوردي في مجلس من مجالس بغداد حول هذا الموضوع استمر اكثر من ساعتين ، وسجلت التعليقات الساخرة للوردي حول الموضوع، ربما سأنشرها يوما . كان الوردي في البداية قد طرح موضوع الاستنجاء بالورق او الحجارة وآراء الفقهاء حول هذا الموضوع مركزاً في جدله على ان الاسلام دين اليسر وليس دين العسر وان من الخطأ الفادح ان نجعله اصعب دين على وجه الارض .

نقد المصححين اللغويين (١)

ان التصحيحات اللغوية التي تنشر في صحفنا الان هي كأي من اعمال البشر فيها الحسن وفيها السيء . واعترف لك اني استفدت من بعضها كثيرا ، ولكن مع ذلك استطيع ان اقول اني وجدت في البعض الاخر منها تشددا لا ينسجم مع مسيرتنا الحضارية الراهنة ، وهو قد يضر بنا اكثر مما يفعنا .

اذكر فيما يلي نماذج من تشدد بعض المصححين ، لكي يدرك القاريء مبلغ الضرر الناتج عنه :

١- انهم ذكروا قواعد للتمييز بين استعمال لفظة (هل) والهمزة في الاستفهام واعلنوا خطأ من يضع احداهما في محل الاخرى . ولست ادري ماهي الفائدة التي نجنيها من هذا التمييز فالواجب يقضي علينا في ظروفنا الحاضرة ان نستعمل احداهما دائما في جميع الاحوال ، واني افضل استعمال (هل) دائما لوضوحها . اما القواعد التي ذكرها المصححون في هذا الشأن فهي لا يستطيع حفظها والالتزام بها الا القليل من الناس . هذا مع العلم انها لا تجدينا شيئا في توضيح المعنى . ان حياتنا الحديثة تولي اهتماما لتوضيح المعنى اكثر مما تولي لالتزام القواعد التي لا فائدة منها .

٢- ذكر المصححون قواعد اخرى للتمييز بين استعمال (نعم) و (بلى) للجواب عن الاستفهام. وقد نسي هؤلاء ان (بلى) ذهب زمانها ولايستعملها الان احد . فلماذا يشغلون انفسهم ويشغلوننا بكلمة لا يستعملها احد . ولو فرضنا انهم في حياتهم العملية سألوا احدا من الناس عن شيء فأجابهم بكلمة (نعم) بدلا من (بلى) فهل هم يفهمون الجواب بغير المعنى المقصود منه ؟ وهل هم يطلبون منه ان ينطق بكلمة (بلى) لكي يفهموا جوابه فهما صحيحا ؟ فالى متى ياناس !!؟؟

٣- ذكر المصححون قواعد اخرى للتمييز بين استعمال (او) و (ام) وهذه القواعد لاتختلف في عدم جدواها عن قواعد (نعم) و (بلى) او قواعد (هل) والهمزة وليس هناك اي فرق لدى القاريء بين ان يرى في الجملة التي يقرأها (او) بدلا من (ام) .

---

(١) يواصل الوردي الحديث حول تيسير قواعد النحو وهو الموضوع الذي دعا اليه في كتاباته كثيرا .

٤- ذكر احد المصححين الخطأ الذي يقع فيه بعض الكتاب عند عدم تمييزهم بين جمع القلة وجمع الكثرة في جموع التكسير. ففي رأيه ان جموع التكسير في اللغة العربية نوعان احدهما للقلة ، اي التي هي دون العشرة ، والاخر للكثرة التي هي فوق العشرة ولهذا فأن من الخطأ في رأي هذا المصحح ان نقول (دخل القرية سبعون من الاضياف) فالاضياف وزن قلة وهو اذن لا ينطبق على عدد سبعين ويجب ان يقال (ضيوف) بدلا من (اضياف)

يقول هذا المصحح في مقالته التصحيحية ما نصه : (تميزت لغتنا العربية الحبيبة بالدقة في التعبير ، من ذلك تمييزها بين القلة والكثرة في جموع التكسير ...) .

واني احب ان اعلق على كلمة هذا المصحح فأقول كم من الناس هم قادرون على حفظ اوزان القلة والكثرة لكي يميزوا بينها في الاستعمال ؟

ولاتنحصر المشكلة في الكاتب بل هي تشمل القاريء ايضا اذ هو يجب ان يحفظ اوزان القلة والكثرة لكي يميز بينها عند قراءة عبارة من العبارات . والواقع ان العلامة التي تميز بين القلة والكثرة هي العدد الذي يذكر في العبارة ، وهذا ما جرت عليه العادة في جميع لغات العالم ، وفي لغتنا الحاضرة ايضا . فنحن نستعمل وزنا واحدا للقلة والكثرة معا . فنقول (ضيوف) مثلا في كليهما وفي مقدور القاريء ان يميز بينهما حين يقرأ العدد المذكور في العبارة طبعا .

٥- من ابشع ما وجدته عند هؤلاء المتشددين هو انهم لا يرضون عن استعمال لفظة (التقييم) اذ هم يعدونها مغلوطة من الناحية اللغوية ويستعملون بدلا عنها لفظة (التقويم)، مع العلم ان التقويم في اصله اللغوي يعني التعديل وازالة العوج ، بينما المقصود من (التقييم) تبيان القيمة . ولكن المصححين يريدون منا ان نستعمل (التقويم) في كلا المعنيين اي بمعنى التعديل تارة ومعنى تبيان القيمة تارة اخرى . وهم لايبالون بما يحصل في ذهن القاريء من التباس في المعنى من جراء ذلك .

ان مجمع اللغة العربية في مصر ، وبعض المجامع الاخرى اجازوا استعمال (التقييم) .

والظاهر انهم اقتدوا في ذلك بما فعله القدماء حين استعملوا لفظة (التعييد) بالرغم من مخالفتها للقواعد اللغوية . ولكن احد المصححين عندنا لم يقبل بذلك ، فهو كتب في مقالة له مانصه :

(وعلى الرغم من رخصة بعض مجامع اللغة العربية بأستعمال كلمة تقييم فأن معجمات العربية التي في ايدينا تشير الى ان الصواب ان تقول تقويما لا ان تقول تقييما ...) .

معنى هذا ان صاحبنا المصحح يفضل التزام القواعد اللغوية على توضيح المعنى . فهو لا

يبالي بما تقول به المجامع اللغوية ، بل يبالي بما تقول به القواعد القديمة .
(اني اولي الاهتمام للمعنى وتوضيحه اكثر مما اوليه للقواعد اللغوية) .

واني اقتدي في ذلك بالغزالي ، فالمعروف عن هذا الرجل انه كان اكثر اهتماما بالمعنى منه بالتزام القواعد اللغوية . وهو عندما عوتب على ذلك اجاب قائلا : (ان قصده هو المعاني وتحقيقها دون الالفاظ وتلفيقها) وقد علق احد الكتاب العرب في عصرنا على هذا القول الذي جاء به الغزالي فقال : (ونحن نحمد الله على عدم اشتغال الغزالي بعلوم اللغة وعلى عدم اهتمامه بصناعة الالفاظ فأنه لو اعتنى بهذه الناحية لما امتازت كتابته بهذه القوة والسلاسة في التعبير)[1] .

يمكن القول ان الغزالي سبق زمانه بهذا المبدأ الذي نادى به قبل تسعة قرون ، اذ هو جعل اللغة وسيلة لا غاية وهو المبدأ المتبع الان في مختلف اقطار العالم المتمدن ومن المؤسف ان نرى بعض كتابنا ونقادنا لا يرتضون هذا المبدأ او وهو يثير سخطهم .

ان اللغة عنصر مهم من عناصر الحياة الاجتماعية وهي مترابطة ترابطا عضويا وثيقا مع العناصر الاخرى منها . وليس في مقدور اية امة من الامم ان تماشي الحضارة الحديثة في نظمها السياسية والاقتصادية والتقنية والاجتماعية بينما هي في لغتها تتبع طريقة التعقيد والتصعيب وتخضع لقواعد لا فائدة فيها .

اننا حين ننظر الى ضخامة عدد الكتب والمعلمين وساعات الدروس التي تخصص لتعليم قواعد النحو في مدارسنا وكلياتنا ، ثم نتصور النتيجة العملية من كل ذلك حيث يتخرج التلاميذ وهم قد نسوا معظم تلك القواعد او تجاهلوها ، ندرك مبلغ التبذير الذي تعانيه الامة العربية في جهودها الفكرية جيلا بعد جيل .

---

(١) انظر كتاب (المنقذ من الضلال) للغزالي - طبعة دمشق ١٩٦٠ .

الشعر والحضارة

اني لا اكره الشعر[1] كما يزعم الخصوم. فأن في الشعر جانبا لا يستطيع الانسان الا ان يعجب به ، واني طالما استشهدت في كتاباتي بأبيات من الشعر العربي اعتبرها من الحكم الخالدة اذ هي تعطينا صورا رائعة عن طبيعة الدنيا وطبيعة البشر .

ولكن هذا لا يمنعني من النظر في الجانب الاخر من الشعر وهو الجانب الذي اشار اليه القرآن كما اشار اليه الحديث النبوي . فالشعر هو كأي شيء في هذه الدنيا له محاسنه ومساوئه في آن واحد وبهذا فأني اختلف مع اولئك الذين يلهجون بتمجيد الشعر دائما ويغضون النظر عما فيه من جانب سلبي .

وصف القرآن الشعراء بأنهم يهيمون في كل واد ، وانهم يقولون ما لايفعلون ، وهو يستثنى من ذلك الشعراء المبدئيين الذين ايدوا الدعوة الاسلامية بشعرهم وكافحوا اعداءها . ونحن الان يجب ان نسير على هذا المنهج الذي انتهجه الاسلام تجاه الشعر، فنقدر الشعراء الذين يؤيدون لدعوات الصالحة كما نحتقر الشعراء الذاتيين الذين يجرون وراء العاطفة او المصلحة الخاصة ينظمون قصائدهم تبعا لهما ، فأذا مدحوا شخصا او شيئا صعدوا به الى عنان السماء ، واذا ذموه نسبوا اليه كل المثالب .

كان الشعراء في عهد الجاهلية ينطبق عليهم وصف القرآن اذ هم كانوا كغيرهم من عامة الناس تسيطر عليهم العصبية القبلية ، وكان البعض منهم يقصد الملوك والرؤساء الكبار ليلقي بين ايديهم قصائد المديح طمعا بجوائزهم .

وجاء الاسلام فقضى على هذه المهنة . ولهذا لم نر في عهد الرسول (ص) او عهد الخلافة الراشدة شاعرا يمدح من اجل الجائزة او تعصبا لقبيلته . ومن المؤسف ان نجد الشعر يعود الى ديدنه القديم بعد الخلافة الراشدة .

---

(١) عرف عن الوردي انه يكره الشعر او انه لا يحبه على الاقل ، ورأيته وهو يتضايق كثيرا من المجالس التي نحضرها ويتم فيها القاء القصائد ومناقشتها او الاطراء عليها .

يجب ان لا ننسى ان العلم الحديث قائم على اساس الموضوعية والمنهج الاستقرائي ، كما يجب ان لا ننسى ان العلم الحديث هو من اهم ركائز الحضارة الحديثة ومن اهم اسباب التفوق فيها .

ان الحضارة الحديثة فيها عيوب كثيرة ولكنها مع ذلك محتومة علينا لا مفر منها. فنحن اذ نعيش في هذا العصر يجب ان نسير في طريق هذه الحضارة شئنا او ابينا .

من خصائص الشعر انه عاطفي في الغالب ، فهو كما اشرت اليه آنفا اذا مدح شخصا صعد به الى عنان السماء فغالى في مناقبه ونسي مثالبه واذا ذم شخصا فعل العكس من ذلك . وليس في مقدور اي شاعر ان ينظم قصيدة يذكر فيها الامور كما هي في حقيقتها بما فيها من محاسن ومساوىء . وهذا يخالف منهج العلم والحضارة الحديثة كما لا يخفى . فمن مستلزمات العلم الحديث انه حين يدرس شيئا يذكر محاسنه ومساوئه في آن واحد من غير تحيز على قدر المستطاع .

الواقع اننا لا يجوز ان نلوم الشاعر من حيث اندفاعه مع العاطفة . فتلك هي طبيعة البشر بوجه عام . فالانسان حين يحب يغالي في محاسن المحبوب وينسى مساوئه ، وهو يفعل العكس من ذلك حين يكره . ولكن الذي يجب ان نتنبه اليه هو ان هذه النزعة العاطفية لها مجالها المعين في الحياة الاجتماعية والحضارية ولا يجوز لها ان تتعدى هذا المجال وتدخل في مجال آخر . ففي ذلك ضرر بالمجتمع غير قليل .

الملاحظ في المجتمعات المتقدمة حضاريا ان الشعر قد تضاءل دوره فيها . ومن يتابع ما تصدره المطابع فيها من كتب ومجلات وصحف يجد نصيب الشعر فيها قليلا جدا وهو في تضاؤل مستمر جيلا بعد جيل .

ان الحضارة الحديثة لاتستطيع ان تقضي على الشعر او تلغي دوره الغاء تاما. فالشعر يبقى له اصحابه المولعون به مهما تقدمت الحضارة . انه فن من الفنون ، والناس في حاجة اليه كمثل حاجتهم الى الغناء والرقص والموسيقى والرسم والنحت . ولكننا مع ذلك يجب ان لاننسى حدود المجال الذي ينبغي للشعر ان يلتزم به .

اننا حين نقارن مكانة الشعر في العراق في القرن الماضي الى مكانته الان نجد فرقا كبيرا .

يحدثنا احد المخضرمين الذين عاصروا الربع الاول من هذا القرن واطّلعوا على بعض الماضي في وصف مكانة الشعر فيه ، فيقول في مقالة له نشرها في عام ١٩٦٨ مانصه:

«فتحنا عيوننا قبل اربعين سنة والندوات الادبية في بغداد والحلة والنجف وكربلاء ، وفي

اهم المراكز العراقية المعروفة ، تحفل بالشعرا ، وقصائدهم ، وبالادباء وادبهم .. وكنا نخرج من حفل ادبي كي نتسابق الى ندوة شعرية اخرى ، نتبارى بالتقفية[1] والمطاردات الشعرية[2] - كما كان يعبر عنها - ونتراهن فيما بيننا .. في جو مرح عامر نعود منه بثروة شعرية .. تصور يا اخي القاريء ما كان يبعثه هذا الجو الادبي العامر بالمسابقات والمراهنات في نفس الواحد منا من اثارة للغيرة واستنهاض للهمم والحميات حيث يحشد كل طاقاته وامكاناته ليلحق بأخيه وزميله وقريبه .. »

يبدو من عبارات هذا الكاتب انه يأسف على زوال تلك الايام (الزاهرة) حسب رأيه . فهو يصف تلك الندوات بأنها تثير الغيرة في المشاركين فيها وتستنهض هممهم وحميتهم . ولكن هذا الرأي يقابله رأي آخر مضاد له هو ان ذلك الانهماك الشديد بالشعر لدى المتعلمين في تلك الايام لا يخلو من جانب اجتماعي سيء .

اذا كان اكثر المتعلمين في المجتمع من هذا النمط الذي وصفه الكاتب فأننا لا نتوقع منهم ان يفهموا الدنيا على حقيقتها ، اذ هم ينظرون اليها بمنظار الحماس والعاطفة . وهذا امر اذا كان ملائما للظروف الاجتماعية الماضية فأنه لايلائم ظروفنا الحالية .

ان من يحضر مجالس المتعلمين في ايامنا يجدها من نمط آخر ، فأن موضوع الشعر ليس له نصيب فيها الا قليلا ، او هو لا نصيب له فيها اطلاقا . فقد حلت محل الشعر مواضيع اخرى لها صلة بواقع حياتنا ومشاكلها .

وفي رأيي ان الذي يريد ان يعود بنا الى الماضي في هذا الشأن انما هو يريد اعادتنا الى الوراء . فالتيار الحضاري قوي جارف ، ومن لايجاري هذا التيار سوف يسحقه التيار وتدوسه الاقدام !

« انتهـــى »

---

(١) التقفية : نوع من المباراة الادبية يعمد فيها احدهم الى اختيار قصيدة يلقي مطلعها على مسامع الحاضرين ثم يقف في الابيات التالية عند القافية ليعين الجالسون الكلمة المناسبة للقافية .

(٢) المطاردة الشعرية : هي ان يقرأ احدهم بيتا من الشعر ليبدأ الثاني ببيت اخر يبدأ بالحرف الذي انتهى به البيت الاول ثم يبدأ الاخر بالحرف الذي انتهى به البيت الثاني وهكذا .. ومن المتعارف عليه ان يجاز الفائز بهاتين المباراتين .. ومازالت مجالس التقفية والمطاردة الشعرية تعقد لا سيما في شهر رمضان من كل عام .

الوردي في سطور

- ولد في الكاظمية في عام ١٩١٣ .
- تخرج من جامعة بيروت الامريكية في عام ١٩٤٣ .
- نال شهادة الماجستير في علم الاجتماع من جامعة تكساس الامريكية في عام ١٩٤٨ .
- نال شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة تكساس الامريكية في عام ١٩٥٠ .
- قضى عشرين سنة في التدريس في جامعة بغداد من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٠ .
- احيل الى التقاعد من الجامعة بناء على طلبه في عام ١٩٧٠ ومنحته الجامعة لقب (استاذ متمرس) .
- صدرت له تسعة كتب كان آخرها بثمانية اجزاء .
- ترجمت بعض كتبه وابحاثه الى الانكليزية والالمانية والاسبانية والفارسية .
- توفي صبيحة يوم ١٣/٧/١٩٩٥ .

الخطـــــوط : نبيل الشريف

الموزع الوحيد في العراق
مكتب عبدالوهاب الحمادي
كاظمية - النواب
هـ ٥٢١٩٠٦٤ - ٧٧٢٣٦٦٧

الفهرست

١ / ٩٢٨

ش ٨٢٦ الشماع ، سلام

من وحي الثمانين / اعداد

سلام الشماع .. بغداد : مطبعة القبس ، ١٩٩٦

ص ، ٢٤سم .. (في النفس والمجتمع «١»)

الوردي ، علي (قبس)

م . و ١٩٩٦/٨٩

العنوان ب . ١ مسلسلة

المكتبة الوطنية (الفرسة اثناء النشر)

طُبع بمطبعة القبس

بغداد - البتاوين - ساحة النصر

هـ : ٨٨٦٧٩٠٤

كلمة اسرة الوردي

اطلعني الاخ والصديق الصحفي سلام الشماع على المقالات التي نشرها المرحوم والدي تحت عنوان (من وحي الثمانين) في جريدة الاتحاد . . وكذلك على تفاصيل مشروعه الضخم الذي يهدف الى جمع تراث والدي المرحوم الدكتور السيد علي السيد حسين محسن الصائغ الوردي .

وكان المرحوم الوالد قد توقف عن اصدار الكتب منذ عام ١٩٧٩ لظروف خاصة ألمت به ، لا مجال لذكرها ، واكتفى بكتابة المقالات في الصحف والمجلات العراقية والعربية والاجنبية او الاجابة عن اسئلة الصحفيين والقاء المحاضرات في المنتديات الثقافية والمؤتمرات العلمية ، وقد فرحت كثيرا بهذا المشروع الذي بدأه الاخ سلام الشماع ، الذي كانت تربطه علاقة حميمة بالمرحوم الوالد تؤهله للنجاح في مثل هذه المهمة الصعبة . وقد اطلعت على ما احتواه الكتاب فوجدته مطابقاً لاصول الموضوعات ، التي كان يحتفظ بها المرحوم الوالد ، وذلك يبعث الثقة في نفسي بهذا المشروع ونجاحه ان شاء الله ، وكلي يقين لو ان الوالد المرحوم كان حيا لبارك هذا المشروع و آزره .

ولايسعني في الختام الا ان اشكر ، باسم الاسرة ، الاخ سلام الشماع داعيا الله أن يوفق من يتعاون معنا لجمع تراث الوالد العزيز رحمه الله انه سميع مجيب الدعوات .

الدكتور

حسان علي الوردي

تصميم الغلاف : حامد الكيلاني